

---

# التحقيق في الإمامة وشؤونها

رقم الكتاب في المكتبة الشاملة: ٤٨٧١  
الطابع الزمني: ٣٨-٤٥-١٠-٢٢-٠٩-٢٠٢١  
المكتبة الشاملة رابط الكتاب

## المحتويات

٥	left	١
٥	right	٢
٥	الإهداء	٣
٥	آيات افتتاحية من الذكر الحكيم	٤
٦	دعاء افتتاحي	٥
٦	مقدمة الكتاب	٦
٦	الفصل الأول: من هو الإمام المدعو كل اناس به يوم القيامة	٧
١١	الفصل الثاني: الإمامة كالنبوة اختارها بيد الله الحكيم الخبير	٨
٢٠	الفصل الثالث: هوية الإمام والإمامة في أحاديث	٩
٢٥	الفصل الرابع: صفات خمس لنبينا (ص) في القرآن شاركه بها أئمة الهدى	١٠
٥٣	الفصل الخامس: تحقيق حضور النبي (ص) والأئمة عند المحتضرين	١١
٦١	الفصل السادس: عناية الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين بحديث الغدير	١٢
٦٤	خاتمة الكتاب	١٣

## عن الكتاب

الكتاب : التحقيق في الإمامة وشؤونها  
تم استيراده بواسطة مؤسسة بلاغ المبين



١ left

التحقيق في الإمامة وشؤونها  
الشيخ عبد اللطيف البغدادي

٢ right

- ? الإهداء  
? آيات افتتاحية من الذكر الحكيم  
? دعاء افتتاحي  
? مقدمة الكتاب في آيات مختارة  
? الفصل الأول: مَنْ هو الإمام المدعو كَلَّ اناس به يوم القيامة  
? الفصل الثاني: الإمامة كالنبوة اختياريها بيد الله الحكيم الخبير  
? الفصل الثالث: هوية الإمام والإمامة في أحاديث  
? الفصل الرابع: صفات خمس لنبينا (ص) في القرآن شاركه بها أئمة الهدى  
? الفصل الخامس: تحقيق حضور النبي (ص) والأئمة عند المحتضرين  
? الفصل السادس: عناية الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين بحديث الغدير  
? خاتمة الكتاب

٣ الإهداء

الإهداء  
إيكم يا هداة العباد ...  
إيكم يا من جاهدتم في الله حق الجهاد ...  
إليك يا رسول الله وإلى أهل بيتك الطاهرين ...  
إيكم جميعاً أعود - مرة أخرى - فأرفع هذا المجهود المتواضع وهو عنوان ولائي الخالص لكم جميعاً راجياً التفضل عليّ بالقبول وهو  
حسبي  
المؤلف

٤ آيات افتتاحية من الذكر الحكيم

آيات افتتاحية من الذكر الحكيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ  
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ  
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ  
[الجاثية/١٩-٢٢]

## ٥ دعاء افتتاحي

دعاء افتتاحي  
اللهم إني لو وجدتُ شفعاء أقرب من محمدٍ (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعاي إليك، فبحقهم الذي أوجبت لهم عليك، أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنك أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير (١).

آخر زيارة الجامعة الكبيرة  
١- راجعها بسندها في مفتاح الجنات ج ٢ ص ٢١٠.

## ٦ مقدمة الكتاب

مقدمة الكتاب  
في آيات مختارة  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم  
بسم الله الرحمن الرحيم  
(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً) (١) قِيَمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (الكهف/١-٥).  
(هَذَا كِتَابًا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتلىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (الجاثية/٣٠-٣٢).  
[إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] (الزمر/٤٢).  
[فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] (النساء/٦٦).  
[وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ] (طه/٤٨).  
والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.  
المؤلف

## ٧ الفصل الأول: من هو الإمام المدعو كل اناس به يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم  
وبه نستعين  
الفصل الأول  
من هو الإمام المدعو كل اناس به يوم القيامة؟

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

[يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بَيْنِيهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا \* وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا] [الإسراء/٧١-٧٢].

مقدمة تمهيدية

تشتمل هاتان الآيتان على بحوث تحتاج إلى شيء من التفصيل والتحقيق نذكرهما - بعون الله - بعد ذكر مقدمة تمهيدية حول الآيتين ومفادهما.

استعرض الله تبارك وتعالى في هاتين الآيتين من سورة الإسراء منظراً ومشهداً من مشاهد يوم القيامة العامة ومناظرها، فصور لنا جل وعلا الخلائق وكأنها محشورة على صعيد واحد المهتدي منها والضال والبر والفاجر والراعي والرعية والإمام والمأموم وصارت كل جماعة منها تتنادى وتدعى بالإمام الذي أثمت به وبمنهجه الذي كان عليه في الحياة الدنيا من أئمة الهدى والعدل المتبعة لنهج الحق والسعادة وأئمة الضلال والجور المتبعة لنهج الباطل والشقاء.

تُدعى كل جماعة بإمامها - أي تدعى باسمه أو معه - لِيُسَلَّمْ لها كِتَابُ عَمَلِهَا وفيه بيان جزائها في الدار الآخرة لكل فرد منها قال تعالى: [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَّا طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا] [الإسراء/١٤-١٥].

وإنما تدعى كل جماعة بإمامها لأن الإمام - لغةً - هو المقتدى الذي يُقتدى به ويتبع في أوامره ونواهيه، فقد يكون لاناسٍ إمام هدى وقد يكون لاناسٍ آخرين إمام ضلالة، وقد سَمَّى اللهُ سبحانه وتعالى في القرآن باسم إمام وأئمة أفراداً من البشر وجماعات يهدون الناس بأمره تعالى كما في قوله مخاطباً خليله إبراهيم (عليه السلام): [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] [البقرة/١٢٥]، وقال تعالى في مدح جملة من الأنبياء: [وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] [الأنبياء/٧٤]، وقال تعالى: [وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ] [السجدة/٢٥]. كما سَمَّى اللهُ جل وعلا جماعة آخرين - أيضاً - أئمة ولكن يُقتدى بهم في الضلال، وإنهم يدعون إلى النار، وأضافهم إلى الكفر، وأمر بقتالهم لعدم وفائهم بأيمانهم كما في قوله تعالى: [فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ] [التوبة/١٢]، وقال تعالى: [وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ] [القصص/٤٢].

أما المراد من أئمة الهدى، وأئمة الضلال فعلوم أن أئمة الهدى والحق هم الذين يجتبيهم الله ويختارهم في كل زمان لهداية أهله، أنبياء كانوا كإبراهيم الخليل ومحمد الحبيب (صلى الله عليه وآله) أو غير أنبياء كأوصياء الأنبياء السابقين، وكأئمة الهدى من آل محمد (صلى الله عليه وآله) وهم جميعاً يدعون الناس إلى الهدى بأمر الله لا بأمرهم ويقدمون أمر الله قبل أمرهم وحكم الله قبل حكمهم، ويؤيدهم الله سبحانه بالمعجزات وخوارق العادات التي يجريها على أيديهم لتكون دليلاً على صدقهم، وأئمة الضلال والباطل هم الذين تسلطوا على الناس بالقوة، أو اتخذهم بعض الناس أئمة واختاروهم واقتدوا بهم في الدنيا بدون تشريع وإذن خاص من الله ورسوله، وهؤلاء يدعون إلى النار لأنهم يقدمون أمر قبل أمرهم الله وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم وأهواء أتباعهم خلاف ما في كتاب الله، والله تعالى يقول: [وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ] [المؤمنون/٧٢].

ومن المعلوم أن الله سبحانه قادر على عدم تمكينهم من السلطة والحكم ولكن قد يمكن ويبقى أناساً على ذلك، وقد يحول بين بعضهم وبين ما يريدون، وذلك كله اختباراً لعباده وامتحاناً لهم ليرى ويشاهد من يتبع الحق وأهله ومن يتبع الباطل وأهله (١). قال تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ \* وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ \* أ فَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ كِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ [الأنعام/١١٣-١١٥].  
تفسير الآيتين من سورة الإسراء

والآن وبعد هذا البيان الضافي نعود إلى بحوث الآيتين بشيء من التفصيل والتحقيق يقول تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ].  
أولاً:- المراد من اليوم هو يوم القيامة بإجماع المفسرين وبلا خلاف بينهم، يدعون فيه للحساب.

ثانياً:- الظاهر من الآية الكريمة أن هذه الدعوة تعم الناس جميعاً جيلاً فجيلاً من الأمم الماضية ومن هذه الأمة إلى يوم القيامة، يدعون في ذلك اليوم إلى الحساب والجزاء، قال تعالى: [هَذَا يَوْمُ الْقَصْرِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولِينَ] [المرسلات/٣٩].

ثالثاً:- [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ] (معنى الباء) المعنى: يدعى كل أناسٍ باسم إمامهم - على حذف مضاف - فيقال مثلاً: يا شيعة فلان، ويا شيعة فلان، أو يا أتباع فلان ويا أتباع فلان، كقوله تعالى: [وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] [يوسف/ ٨٣]، والمعنى: وأسأل أهل القرية، وأهل العير، ويقول آخرون من المفسرين المراد أن يدعى كل أناسٍ مع إمامهم، أي مصاحبين له ومختلطين معه، كما يقال مثلاً: ركب الأمير بجيشه، أي مع جيشه، والظاهر لنا احتمال كلا المعنيين وصحتهما معاً، وذلك بان يدعى كل أناسٍ باسم إمامهم ومعه، ولعل إلى ذلك أشار سفيان بن مصعب العبدي الكوفي شاعر أهل البيت وأحد تلامذة الإمام الصادق (عليه السلام) يقول مخاطباً أئمة الهدى:

أُتْمَتْنَا أَنْتُمْ سَدَعَى بِكُمْ غداً\*\*\* إذا ما إلى ربِّ العباد معاً قنا

وانتم على الأعراف أعراف عارف\*\*\* بسيماء الذي يهواكم والذي يشنا (٢)

رابعاً:- من هو الإمام في الآية الكريمة الذي يدعى كل أناسٍ به؟ الجواب نقول: للمفسرين في المراد من الإمام أقوال عديدة، ومذاهب شتى.

أقوال المفسرين في المراد من الإمام وهي ستة

- ١- إن المراد من الإمام مطلق من اتخذ إماماً من أئمة هدى أو ضلال.
- ٢- إنه هو إمام الحق المنصوب من قبل الله نبياً كان أو وصياً.
- ٣- إنه هو إمام الحق مع الكتاب الذي أنزله الله على أحد رسله كالتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والقرآن لمحمد (صلى الله عليه وآله) ومع سنة ذلك الرسول من أقواله وأفعاله وإقراره، وهذه الأقوال الثلاثة لها قسط من الحق، وهناك أقوال أخرى بعيدة عن الحقيقة والواقع وهي:

٤- إن المراد من الإمام كتاب أعمال الخلائق لأن لكل إنسان كتاباً يخصه وقد سُجِّلَ فيه عمله فيُدعى به.

٥- إنه اللوح المحفوظ الذي سُجِّلَ الله فيه كل ما سيكون قبل أن يكون.

٦- وشدَّ بعضهم ففسر الإمام بالأممات، وإن قوله تعالى: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ] أي بإماتهم، كل ذلك محاولة من بعضهم تضييع الحقيقة أو جهلاً بها (٣).

أصح الأقوال ثلاثة:

ولكن الحقيقة التي تتلاءم مع الآيتين والآيات الأخرى من القرآن، وتتلاءم مع الأخبار المروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار من طرق الفريقين هي أحد القولين الأولين أو كلاهما مع القول الثالث وهذا هو الأظهر.

أما الأقوال الثلاثة الأخرى فعلومة البطلان لمخالفتها لنص الآية الكريمة، فإن الآية تقول: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ] فلو كان المراد من الإمام الكتاب الذي فيه تسجيل عمل كل إنسان فرداً فرداً لقال: (يوم ندعو كل إنسان بإمامه)، ولو كان المراد من الإمام اللوح



المحفوظ الذي فيه تسجيل كل ما قدّر لبني الإنسان من أول إيجاده إلى آخر الدنيا لقال: (يوم ندعو الناس جميعاً بإمامهم)، ولو كان المراد من الإمام الأمهات لقال: (يوم ندعو كل إنسان بإمامه)، أو: (ندعو كل الناس بإمامهم). هذا مع العلم أيضاً أن كتاب تسجيل العمل لا يقال له إمام، لأن الإمام هو المقتدى المتبع كالرسل والأنبياء والأوصياء وما انزل الله عليهم من كتب وما شرع لهم ولأمامهم من نظم.

وكذلك الأمهات لا تطلق عليها لفظة إمام، وعليه نعود إلى الأقوال الثلاثة الأولى وبيان الحقيقة فيها فنقول:

القول الأول وأدلته:

أما القول الأول وهو أن المراد من الإمام مطلق من اتخذ إماماً وعلى هذا يكون معنى الآيتين، إن كل طائفة من الناس أو فرقة منهم اتخذت إماماً لها فبايعته أو اقتدت به في الحياة الدنيا واتبعته تدعى به يوم القيامة سواء كان ذلك الإمام إمام هدى أو إمام ضلالة، واتباعها له في سبيل الحق كان أو في سبيل الباطل، فتدعى تلك الفرقة بإمامها الذي ائتمت به في الحياة الدنيا، وإذا دعي كل اناس بإمامهم فينثد من اقتدى منهم بإمام الحق والهدى وقد دعي بأسمه ومعه فأولئك يأخذون كتابهم بأيمانهم ويقروونه فرحين مستبشرين بالسعادة والنعيم [وَلَا يَظْهَرُونَ فِتْيَالاً] والفتيل هو الحبل الذي يكون في شق النواة، والمعنى لا يظهرون مقدار فتيل بل يوفون أجورهم تامة غير منقوصة، ثم يكونون أخيراً معهم في الجنة.

وأما من اقتدى بغير إمام الحق والهدى فيظهر حينئذ فيه العمى وهو عمى البصيرة الذي كان عليه في الدنيا، قال تعالى: [فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ] [الحج/٤٧]، وظهر عليه في الآخرة، بل يظهر من الآية الكريمة أن عماء في الآخرة يكون أشد من عماء في الدنيا لذا قال: [وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا] أي أكثر عمى وضلالاً. والمعنى ومن كان في هذه الحياة الدنيا لا يعرف إمام الحق ولا يسلك سبيله فهو في الآخرة لا يجد السعادة والفلاح ولا يهتدي إلى المغفرة والرحمة، ويكون أخيراً مع إمام الضلال والباطل في النار.

ويؤيد ذلك قول النبي (صلى الله عليه وآله) في آخر خطبة خطبها في مسجده وهي خطبة طويلة منها قال: «أيها الناس هذا علي بن أبي طالب كثر الله اليوم وما بعد اليوم فمن أحبه ووالاه اليوم وما بعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه الله، وأدى ما وجب عليه من الله، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمى وأص»

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يصرح به في كتبه ورسائله إلى ملوك ورؤساء العالم من الأكاسرة والقيصرة والأقباطة والاساقفة وغيرهم فثلاً يكتب إلى كسرى ملك الفرس: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الجوس، ويكتب إلى قيصر ملك الروم: اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الإريسيين، ويكتب إلى المقوقس ملك القبط في مصر: أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم القبط، وهكذا في سائر رسائله وكتبه (١٨).

وإذا كان الضالون يحشرون مع رؤسائهم المضلين، ويصيرون معهم إلى العذاب المقيم حسب نصوص تلك الآيات البينات، فالمهتدون يحشرون أيضاً مع رؤسائهم الهادين ويصيرون أخيراً معهم إلى النعيم المقيم، وقد نصت على ذلك بعض الآيات الواضحات ومنها قوله تعالى: [وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا \* ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا] [النساء/٧٠-٧١].

وإلى كل ما ذكرناه يشير قوله تعالى: [وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ \* فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ \* وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتلى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ] [الجمعة/٢٩-٣٢].

وأما الأخبار فقد تواترت تواتراً قطعياً عند جميع فرق المسلمين في أنّ الإنسان يحشر ويصير يوم القيامة مع من تولاه وأحبه من رؤساء الهدى أو الضلال، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وغيرهم من أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ورووا عن انس بن مالك، وابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: المرء مع من أحب، وقال (صلى الله عليه وآله): من أحب قوماً حشر معهم، وفي نقل: من أحب قوماً حشره الله في زمريتهم (١٩).

وجاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري حينما زار الإمام الحسين في زيارة الأربعين وزار أهل بيته وأصحابه، فكان فيما قال في زيارتهم: والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) بالحق نبياً لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، قال عطية: فقلت: يا جابر كيف نشاركهم فيما دخلوا فيه؟ ولم نهبط وادياً ولم نعلُ جبلاً ولم نضرب بسيف؟ فقال يا عطية: سمعت رسول الله حبيبي يقول: من أحب قوماً حشر معهم، ومن أحب قومٍ أشرك في عملهم، والذي بعث محمداً نبياً أن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين (عليه السلام) وأصحابه.. الخ (٢٠).

والمراد من الحب في هذه الأحاديث الشريفة هو الحب المقرون بالاتباع لأئمة الهدى أو لأئمة الضلال، ويؤيده ما رواه العياشي في تفسيره، والكليني في (أصول الكافي) في باب: أن الأئمة في كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار، ووراه المولى محسن الفيض في تفسيره الصافي مسنداً عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) انه قال: لما نزلت هذه الآية: [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ] قال المسلمون: يا رسول الله أأست إمام الناس كلهم أجمعين؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيكذبون ويظلمهم أئمة الكفر وأشياخ الضلالة - فن والاهم - أي الأئمة من الله واتباعهم فهو مني وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس مني ولا معي وأنا منه بريء (٢١).

ولنختم هذا الفصل بقوله تعالى يخاطب نبيه (صلى الله عليه وآله) يأمره أن يقول لأئمة: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] [آل عمران/٣٢].

- ١- راجع موضوع -الاختبار والامتحان- مفصلاً في (الحقائق الكونية) ج ٢ من أوله إلى ص ١٣٣.
- ٢- البيتان من قصيدة عصماء لسفيان بن مصعب العبدي ذكر بعضها الشيخ الأميني في الغدير ج ٢ ص ٢٩٢ وذكر ترجمة الشاعر وشرح بعض أبياتها.
- ٣- راجع الأقوال في تفسير (الكشاف) للزنجشيري ج ٢ ص ٦٨٢ و(مفاتيح الغيب) للرازي ج ٥ ص ٤١٧-٤١٨، و(مجمع البيان) للطبرسي م ٣ ص ٤٢٩-٤٣٠ وغيرها.
- ٤- راجع الخطبة في (البحار) ج ٢٢ ص ٤٨٧.
- ٥- (حياة الحيوان) ج ٢ ص ١٣٥.
- ٦- (ينابيع المودة) ص ٧١ بسنده عن الأصبغ نقلاً عن كتاب المناقب، ونقلها عنه المرعشي في (احقاق الحق) ج ٧ ص ٥٩٨، والصدوق في (الخصال) ج ٢ ص ٦٤٤، والمفيد في (الاختصاص) ص ٢٧٧، و(شجرة طوبى) ج ٢ ص ١٤٩ نقلاً عن (مدينة المعاجز).
- ٧- راجع (مقتل الحسين) للخوارزمي الحنفي ج ١ ص ٢٢١، و(الأملاني) للصدوق ص ٩٣، و(تفسير الصافي) نقلاً عن المجلس عن تفسير الآية، والمجلسي في (البحار) ج ٤٤ ص ٣٦٧ عن اللهوف لابن طاووس ص ٦٠ ومثير الأحران لابن نما ص ٢١، ونقله عنهما السيد بحر العلوم في نقله ص ٢٢٤ مختصراً.
- ٨- (مجمع البيان) ج ٣ ص ٤٣٠، و(الصافي)، و(الميزان) ج ١٣ ص ٨١، نقلاً عن تفسير البرهان، عن ابن شهر آشوب والبحار ج ٨ ص ٨.
- ٩- (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٩٤.
- ١٠- راجع (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٢، وعلي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٣، ونقله عنهما المجلسي في (البحار) ج ٨ ص ٦، و ص ١١.

- و(الصابي) ج ١ ص ٩٨١، و(البرهان) ج ٢ ص ٣٤٠.
- ١١- (المحسن) ص ١٠٩، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٨ ص ١١١.
- ١٢- (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٢، و(البحار) ج ٨ ص ١١، و(البرهان) ج ٢ ص ٤٣٠.
- ١٣- (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٣، وفي الحاشية: (البرهان) ج ٢ ص ٤٣٠، (البحار) ج ٨ ص ١٢ نقلاً عن العياشي، و(الصابي) ج ١ ص ٩٨١، و(الميزان) ج ١٣ ص ١٨٢.
- ١٤- (مجمع البيان) ج ٣ ص ٤٣٠، و(البحار) ص ١٠، نقلاً عن (العيون) ص ٢٠١.
- ١٥- (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٩٤.
- ١٦- سنذكر إن شاء الله شهادة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) في فصل مستقل في هذا الكتاب على الناس أجمعين فراجع.
- ١٧- في هذا النص "بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" إشارة واضحة إلى وسائل الإعلام الحديثة التي بواسطتها استطاع الظالمون أن يواصلوا مكرمهم وخذاعهم للشعوب المستضعفة ليلاً ونهاراً وبلا انقطاع "وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ" [البروج/٢١].
- ١٨- (مكاتب الرسول لعلي بن حسين الأحمدي) ج ١ ص ٩٠ و ص ١٠٥.
- ١٩- راجع كتاب (الغدير) ج ٢ ص ٢٩٢ في مصادر هذه الأحاديث.
- ٢٠- راجع كتاب (بشارة المصطفى) ص ٩٠.
- ٢١- راجع (تفسير العياشي) ج ٢ ص ٣٠٤، و(الشافعي في شرح أصول الكافي) مجلد ٣ ص ١٤٦، و(البحار) ج ٨ ص ١٣، و(تفسير البرهان) ج ٢ ص ٤٣٠، و(الصابي) و(المحسن) للبرقي وغيرها.

## ٨ الفصل الثاني: الإمامة كالنبوة اختيارها بيد الله الحكيم الخبير

### الفصل الثاني

الإمامة كالنبوة اختيارها بيد الله الحكيم الخبير

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ \* وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) [القصص/٦٩-٧٠].

الإمامة - عند الشيعة الإمامية - من أصول الدين

وهي عبارة عن الاعتقاد بأن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين هو الإمام والحجة والخليفة لله بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكذلك أبناؤه المعصومون من بعده أئمة وحجج الله على خلقه وخلفاؤه في عبادته وسفراؤه في أمره ونهيه.

كما يجب أن يعتقد - عندهم أيضاً - إن الإمامة إمرة إلهية كالنبوة أمرها بيد الله عز وجل لا بيد خلقه، لا بالاختيار والانتخاب من الناس، أمّا النبوة فقد اجمع المسلمون قاطبة على عدم الخيرة للناس في نصب النبي، ولا خلاف في ذلك لأحد منهم.

وأما الإمامة فقد جوز أهل السنة الاختيار في نصب الإمام، والحقيقة إنه تجوز لا نراه يتفق أبداً مع حكم الكتاب والسنة والعقل والإجماع، وإليك البيان.

بيان الأدلة الأربعة على عدم الخيرة للناس

الأول - الكتاب الكريم

أما الكتاب فيه آيات كثيرة تدل على عدم الخيرة للناس، فمنها قوله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) فأخبر جلّ وعلا:

أولاً:- إنه هو الذي يخلق ما يشاء، أي إنه هو الذي يوجد ما يشاء بإيجاده.

ثانياً:- إنه هو الذي يختار من خلقه من يشاء، وعطف الاختيار على الخلق والإيجاد ليُعلم جميع عباده الذين يعتقدون إن الموجد هو الله وحده لا شريك له يُعلمهم أيضاً إن الاختيار كذلك بيده وحده لا شريك له وهو الخالق، وهو المختار، (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ).  
ثالثاً:- نفى تبارك وتعالى - نفيّاً صريحاً - أن تكون الخيرة للخلق (مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) نعم الظاهر أن "ما" هنا نافية كما عليه المحققون كصاحب تفسير الميزان (١).

وقيل أن "ما" هنا موصولة بمعنى الذي فيكون المعنى أن الله هو الذي يختار لهم الذي فيه الخيرة وعلى كلاً المعنيين تكون النتيجة إن الخيرة بيده لا بيد غيره.

رابعاً:- أخبر عن تنزيهه وتعالیه عن أن يشرك خلقه معه في الخلق والاختيار (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)، ثم بين جلّ وعلا في الآية التالية الحكمة في ذلك، وهي حكمة واضحة جلية، تلك هي أن الخالق أعلم بنفسيات خلقه ومن يصلح للرئاسة عليهم ومن لا يصلح، (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ).

فإن قيل: هذا الاختيار المذكور في الآية مختص بمسألة النبوة دون غيرها؟ قلنا: ليس في صدر الآية أو ذيلها ما يُشعر - ولو من طرف خفي - بالاختصاص بالنبوة فقط، بل إن إطلاقها - بما تحمل فيه من صراحة ووضوح - تأتي كل قيد أو تأويل، كيف لا، والإمامة تُعتبر استمراراً لمقام النبوة وإتماماً للرسالة، وإن اختيار النبي والإمام معاً بيد الله عزّ وجلّ.

وبهذا جاء النص الصريح عن النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أنزل الله عليه القرآن وخاطبه بهذه الآية (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) على ما هو منقول عن كتاب محمد بن مؤمن الشيرازي من علماء الجمهور المستخرج من التفاسير الاثني عشر، عن أنس بن مالك قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذه الآية (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) فقال (صلى الله عليه وآله) إن الله خلق آدم من الطين كيف يشاء ويختار، وإن الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجنا فجعلني الرسول، وجعل عليّ بن أبي طالب الوصي، ثم قال: (مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ) يعني ما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني أختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوته وخيرته من خلقه (٢).  
وجاء في حديث الإمام الرضا (عليه السلام) في وصف الإمام والإمامة ومكانهما السامي، وهو حديث مهم وطويل، رواه جلّ علمائنا، وسنذكره إن شاء الله بعد هذا الفصل بكامله، ونذكر الآن محل الشاهد منه يقول (عليه السلام): ورغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ).

محاورة ابن عباس مع الخليفة الثاني في الخلافة

ومما يؤيد ذلك إن عبد الله بن عباس وهو حبر الأمة وعالمها وابن عم نبيها، والذي يُعبر عنه بترجمان القرآن قد احتجّ بهذه الآية (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أيام خلافته في كلامٍ دار بينهما ذكره المؤرخون في كتب التاريخ والأدب، وذلك حين قال الخليفة لابن عباس: أتدري يا بن عباس ما منع الناس منكم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، قال: لكنني أدري، قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجفخوا الناس جفخاً (٣).  
ف نظرت قريش لا نفسها فاختارت ووقفت وأصابت، فقال ابن عباس: أيميظ أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء، قال: أما قول أمير المؤمنين: أن قريشاً كرهت أن تجتمع لكم النبوة والخلافة، فإن الله عزّ وجلّ وصف قومًا بالكراهة بقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) [محمد/١٠]، وأما قولك فتجفخوا الناس جفخاً (أو تجحفوا الناس) فلو جفخنا بالخلافة لجفخنا

بالقربة ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي قال الله تعالى مخاطباً له: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم/٥]، وقال له: (وَإِنْ خِصَّ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) [الشعراء/٢١٦]، وأما قولك فنظرت قريش لا نفسها فاختارت ووفقت وأصابت، فإن الله تعالى يقول: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله قد اختار من خلقه من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابت.

فقال عمر: على رسلك يا بن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً وغشاً في أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول، فقال ابن عباس مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الحسد والغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي طهره الله وزكاه مع أهل بيته الذين قال الله لهم: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) [الأحزاب/٣٤].

وأما الحقد فكيف لا يحقد من غضب حقه ويراه بيد غيره؟ فقال عمر: أما أنت يا بن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي، قال: يا أمير المؤمنين إخباري به، فإن يك باطلاً فثلي أباط الباطل عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به، قال: بلغني إنك تقول: أخذ هذا الأمر "أمر الخلافة" حسداً وظلماً، قال: أما قولك يا أمير المؤمنين "حسداً" فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسودون، وأما قولك "ظلماً" فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو؟ ... الخ. أخيراً قال عمر لجلسائه:

وأها - أي عجباً - لابن عباس ما رأيته لاحي أحداً قط إلا خصمه (٤).

وشاهدنا من هذه المحاوره استشهاد ابن عباس بالآية الكريمة لما قال له عمر: "ولكن اختارت قريش لا نفسها" قال: قال الله تعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) فلو كانت هذه الآية تخص النبوة فقط لما احتج بها ابن عباس في موضوع الإمامة، ولرد عليه عمر في محاورته معه، وهناك آيات أخر تصرح بأن الاختيار بيد الله لا بيد غيره مثل قوله تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [الأنعام/١٢٥]، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ) [الدخان/٣٣]، وقوله تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [الملك/١٥].

ومن آيات الكتاب التي تدل على عدم الخيرة للناس حتى المؤمنين منهم قوله تعالى: (وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) [الأحزاب/٣٧].

والظاهر ان المراد من القضاء في هذه الآية هو القضاء التشريعي دون التكويني، وهو ما شرعه الله وحكم به تشريعياً في شيء مما يرجع إلى أعمال العباد في شأن من شؤونهم بواسطة رسول من رسله (٥)، والمعنى ليس لأحد من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله ورسوله التصرف في امرٍ من أمورهم أن يثبت لهم الاختيار بغير ما شرع الله لهم بحجة انتساب ذلك الأمر إليهم وكونه أمراً من أمورهم فيختاروا منه غير ما قضى الله ورسوله، لا، بل عليهم أن يتبعوا إرادة الله وإرادة الرسول فهي المتقدمة على غيرها من الارادات.

ووجه الاستدلال بهذه الآية الكريمة نقول: الإمامة أن كانت مما قضى الله بتركها وعدم تشريعها مثلاً - وحاشا للطف الخبير تركها - فلا يجوز للناس الخيرة في إثباتها، وإن كانت مما قضى الله إثباتها وتشريعها - وهو الحق - كانت كغيرها من الأحكام والتشريعات التي قضى الله عليها وأمر بها ولم يهملها فهي منه لا من غيره من الناس، فإذا خالفوا الله وعصوه واختاروا خلاف ما اختار الله فقد ضلوا ضلالاً مبيناً.

ومنها قوله تعالى مخاطباً رسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): (يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ) [آل عمران/١٥٥] وهذه الآية المباركة صريحة الدلالة على أن ليس للأمة واحداً أمراً ولا حكم في شيء من الأشياء مطلقاً، بل كله لله عز وجل، فإذا لا يجوز اختيار الناس للإمام ونصبه من عند أنفسهم لانه من أعظم الأمور وأهمها حيث على الإمام تبني مصالح العباد الدينية والدنيوية

وقبل هذه الآية آيات خاطب الله رسوله (صلى الله عليه وآله) بقوله: (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) [آل عمران/١٢٨]. ومن هنا نعلم أن أمر الإمامة ليس بيد مخلوقٍ مطلقاً حتى النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن أمته واحداً، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل بصراحة على أن الاختيار بيد الله لا بيد خلقه. ولقد أجاد من قال:

نور الهداية لا يخفى على أحدٍ \*\*\* لو لا اتباع الهوى والغى والحسد  
قد بين الله ما يرضى ويسخطه \*\*\* منا وفرق بين الغي والرشد  
بأحمد المصطفى الهادي وعترته \*\*\* من اهتدى بهداهم واستقام هُدي  
إن الإمامة ربّ العرش نصّها \*\*\* مثل النبوة لم تنقص ولم ترد  
والله يختار من يرضاه ليس لنا \*\*\* نحن اختيار كما قد قال فاقصد (٦)

الثاني - السنة

وأما السنة النبوية فهي تابعة للكتاب في ذلك وفي غير ذلك إذ "ما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن كتاب الله صادفاً، ولا لأحكامه مخالفاً" - نص مقتطف من خطبة الزهراء الكبيرة - فهذا ابن وكيف يُعقل أن يترك النبي (صلى الله عليه وآله) أمته سدىً بلا راعٍ يرعاهم وهو الشفيق عليهم الرؤوف الرحيم بهم، قال تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة/١٢٨]، وقال جل جلاله: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [الأنبياء/١٠٨].

إنكار أم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن عمر على أبيه

أما كان (صلى الله عليه وآله) يخشى على أمته الفتنة والاختلاف؟ وهذه عائشة دعت عبد الله بن عمر بن الخطاب بعد ما طعن أباه أبو لؤلؤة، وعلم إن أيام حياته قد انتهت أظهر أولاً أنه سوف لا يستخلف أحداً بعده - لاقتضاء سياسته - وبلغ ذلك عائشة لذا دعت ابنه عبد الله وقالت له - كما في كتاب الإمامة والسياسة -: يا بني ابلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راعٍ استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملاً فأني أخشى عليهم الفتنة ... الخ. ربك قل لي - أيها المنصف - أفكانت عائشة اشفق على أمة محمد (صلى الله عليه وآله) منه؟ بحيث هي تخشى عليهم الفتنة - إذا تركوا من غير خليفة - وهو (صلى الله عليه وآله) لا يخشى على أمته الفتنة والاختلاف؟

وقوع الاختلاف والحروب الدامية بين الأمة

كما وقد وقعت الفتنة والاختلافات الكثيرة بعده، بل وقعت تلك الحروب الدامية من أجل الخلافة كحروب الردة أيام الخلفاء الثلاث، وكحرب الجمل بين أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين طلحة والزبير وعائشة وقد قتل فيها من الفريقين ثلاث وعشرون ألف قتيل، وثمانية عشر ألف من أصحاب طلحة والزبير، خمسة الآف من أصحاب علي، ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص (١٠). وكرب صفين بين علي ومعاوية، وقد قتل فيه من الفريقين قيل: مائة ألف وعشرة الآف، وقيل: قتل فيه خمس وتسعون ألف، سبعون ألف من أصحاب معاوية، وخمس وعشرون ألف من أصحاب علي، وأقل ما قيل فيه: سبعون ألف، خمس وأربعون ألف من أصحاب معاوية، وخمس وعشرون ألف من أصحاب علي (عليه السلام) (١١) كما في أعيان الشيعة، وكرب النهروان وقد قتل فيه بالاتفاق المشهور أربعة الآف، تسعة من أصحاب علي والباقيون من الخوارج، وكواقعة الطف التي استؤصلت فيها ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد قتل فيها من الفريقين ما لم يضبط لكثرتهم، وكواقعة الحرة بين يزيد وأهل المدينة، وقد قتل فيها من المهاجرين والأنصار وأبنائهم وسائر المسلمين اللاتنين بضريح سيد النبيين عشرة الآف وسبع مائة وثمانون رجلاً (١٢).

ولم يبق بعدها بدري، وقتل من النساء والصبيان عدد كثير وكان الجندي من جنود يزيد يأخذ بيد الرضيع أو رجله ويجذبه من يد أمه

فيضرب به الأرض فيخلط لحمه بعظمه ودماغه بدمه وأمه تنظر إليه، نص على ذلك ابن قتيبة الدينوري في (الإمامة والسياسة) (١٣). ثم أمروا بالبيعة ليزيد على أنهم خول له وعبيد ان شاء استرق وان شاء أعتق، فبايعوه على ذلك وأموالهم منهوبة ونساؤهم مسلوقة ودماؤهم مسفوكة واعراضهم مهتوكة حتى قال السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء): افتض في تلك الوقعة ألف عذراء من بنات المهاجرين والانصار، وقال ابن الطقطقي في تاريخه المعروف بـ(الفخري): ان الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها افتضت في واقعة الحرّة.

إمامة أهل البيت أمان من الفرقة

فلو انهم تعبدوا بنص الرسول على علي (عليه السلام) لما وقع شيء من ذلك ولَبَقِيَ الأمر بيد أئمة الهدى ولعاشت الأمة كلها بسعادة وهناء بلا فرقة ولا اختلاف، ولكانت الدنيا لهم جنة أولى، وهذه هي العلة في تشريع الله للإمامة وجعلها في أهل البيت كما أشارت إلى ذلك الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء في خطبتها بمسجد أبيها وقد تعرضت؟ فيها إلى فلسفة العقائد والعبادات والأحكام الإسلامية، وذكرت موضوع الإمامة وفلسفتها فقالت؟: وجعل - الله - إمامتنا أماناً من الفرقة.

نعم لما غضبت الخلافة منهم وقع ما وقع بين الأمة من الاختلاف والافتتال كما ذكرت ذلك أيضاً في خطبتها الصغيرة التي خطبتها على نساء المهاجرين والانصار حين جئن إليها يعدنها: بقولها: فابشروا بسيف صارم، وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل دائم، واستبدال من الظالمين، يدع فيأكم زهيداً وجمعكم حصيداً فياحسرة لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم اتلزمكموها وأنتم لها كارهون. وهذا البيهقي ينقل في (سننه) عن صحيح مسلم: ومحب الدين الطبري في (الرياض النضرة)، وأبو نعيم الاصفهاني في (حلية الأولياء)، وابن الجوزي في (سيرة عمر)، كما في الغدير، وغير هؤلاء: ان عبد الله بن عمر دخل على أبيه بعد ما طعن، وقال له: يا أبة ان الناس يتحدثون انك غير مستخلف ولو كان لك راعي ابل، أو راعي غنم ثم جاءك وترك رعيته لرأيت أن قد ضيع "أو فرط" ورعية الناس أشد من رعية الإبل والغنم، ماذا تقول لله إذا لقيته ولم تستخلف على عباده؟ (١٤).

ومعلوم ان هذا القول - من ابن عمر - بتشبيهه الرعية بالغنم، والخليفة بالراعي من ابلغ الأدلة على ان الاستخلاف من الأمور الضرورية التي لا يجوز لمثل عمر ان يتركها ويغفل عنها فكيف إذن يتركها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويغفل عنها، وهو أكمل البشر يا مسلمون؟

الإشارة إلى نصوص رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي بالخلافة

وهذه نصوص رسول الله (صلى الله عليه وآله) على علي بالخلافة يحدثنا عنها علماء التاريخ، ورواة الصحاح والسنن والفضائل والمناقب من مبدأ أمره إلى منتهى عمره تصريحاً تارة وتلويحاً أخرى.

وأشهرها نص يوم الغدير بعدما رجع النبي (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع، وقد اجتمع عنده في ذلك اليوم مائة ألف أو يزيدون من الناس، فنادى النبي لعلي بالولاية العامة، ورفعته حتى بان بياض إبطينهما، ونادى فاسمع - كما هو المتواتر من طرق الفريقين:-

أيها الناس أأستأوى بالموءنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله، وادر الحق معه حيثما دار.

ثم أمر المسلمين أن يسلّموا عليه بإمرة المؤمنین لتّم له البيعة في حياته ولا يختلف فيه أحد بعد وفاته، فتسابق الناس للسلام عليه بإمرة المؤمنین وتهنئته بالمقام الرفيع، وكان في مقدّمة من هنأه بذلك أبو بكر وعمر، فقالا له: كما في مسند أحمد بن حنبل، والصواعق المحرقة لابن حجر وغيرهما: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة (١٥).

وحين تمّت البيعة له أنزل الله تعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [المائدة/٤]، فكان إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب بالإسلام ديناً للمسلمين بولاية علي أمير المؤمنين. ولقد أجاد من قال:

مواهب الله عندي جاوزت أملي\*\*\* وليس يبلغها قولي ولا عملي  
لكن أفضلها عندي وأشرفها\*\*\* ولايتي لأمر المؤمنين علي  
شرائط الإمامة، واجتماعها في علي وأبنائه الطاهرين (عليهم السلام)  
وكان (عليه السلام) جامعاً لشرائط الإمامة، متحلياً بأفضل صفات الكمال بخلاف غيره من الأصحاب، ولقد أجاد السيد الحميري حيث  
يقول:

أقسِمُ بالله وآلائه\*\*\* والمرء عما قال مسؤول  
إن علي بن أبي طالب\*\*\* على التقى والبر محبوب  
وإنه كان الإمام الذي\*\*\* له على الأمة تفضيل  
يقول بالحق ويعني به\*\*\* ولا تلهيه الأباطيل  
كان إذا الحرب مرتها القنا\*\*\* وأجمت عنها البهاليل  
مشى إلى الموت وفي كفه\*\*\* أبيض ماضي الحد مصقول  
مشى العفرني بين أشباله\*\*\* أبرزه للقنص الغيل  
ذاك الذي سلم في ليلة\*\*\* عليه ميكائيل وجبريل  
جبريل في ألف وميكال في\*\*\* ألف ويتلوهم سرافيل  
ليلة بدر مدواً أنزلوا\*\*\* كأنهم طير أبابيل  
فسلوا لما أتوا حذوه\*\*\* وذاك إعظام وتجميل (١٦)

وشرائط الإمامة كثيرة منها العصمة من الذنوب والخطأ وعدم النسيان والسهو في شيء من أمور الدين.  
تعريف العصمة لغةً واصطلاحاً

والعصمة في معناها اللغوي المنع، قال تعالى حاكياً على لسان ابن نوح يخاطب أباه وجواب أبيه له (قال سآوي إلى جبل يعصمني من  
الماء قال لا عصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) [هود/٤٤].  
فقوله: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) أي يمنعني من الغرق في الماء، وهذا معنى العصمة لغةً.

وأما معناها اصطلاحاً: فالعصمة قوة تكوينية في العقل والعلم موهبة من الله لمن شاء من عباده - تمنعهم من اقتراف المعاصي مع  
قدرتهم عليها، لأنهم ان لم يكونوا قادرين عليها لا نخر ولا فضل لهم في اجتنابها، لانهم غير قادرين اصلاً على اقترافها، وبالإجمال ان  
الإمام المعصوم لا يترك واجباً أبداً ولا يفعل محرماً مطلقاً مع قدرته على الترك والفعل وإلا لا يستحق مدحاً ولا ثواباً.  
والشيعة هي التي تشترط العصمة - بهذا المعنى - في الإمام كما هي شرط في النبوة، قال الشيخ المفيد في كتاب (أوائل المقالات)  
القول في العصمة: إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع وتأديب الأنام - معصومون  
كعصمة الأنبياء لا تجوز عليهم كبيرة ولا صغيرة، ولا سهو في شيء من الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذاهب سائر  
الإمامية إلا من شد منهم (١٧).

وقال العلامة الخلي في كتابه (نهج الحق) ذهبت الإمامية إلى أن الأئمة كالأنبياء في وجوب عصمتهم عن جميع القبائح والفواحش  
من الصغر إلى الموت عمداً وسهواً، لأنهم حفظة الشرع، والقوامون به، فخالهم في ذلك كحال النبي، ولأن الحاجة إلى الإمام إنما هي  
للاكتشاف للمظلوم من الظالم، ورفع الفساد وحسم مادة الفتن، وإن الإمام يمنع القاهرين "أي الظالمين من التعدي، ويحمل الناس  
على فعل الطاعات واجتناب المحرمات، ويقيم الحدود والفرائض ويواخذ الفساق ويعزر من يستحق التعزير، فلو جازت عليه المعصية



وصدرت منه انتفت هذه الفوائد وافتقر هو إلى إمام آخر يرفع فساده وهكذا فيتسلسل، والتسلسل باطل بالإجماع، إذ لا بد وإن ينتهي الأمر إلى إمام لا تصدر المعصية منه أبداً (١٨).  
اشتراط العصمة غير خارج عن الأدلة

وهذه العصمة التي اشتراطها الشيعة في الإمام ليست مسألة تدعو إلى الغرابة أو العجب، أو هي خارجة عن الأدلة الإسلامية، ذلك لأن فاعل المعصية ظالم حسب النص القرآني قال تعالى: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [البقرة/٢٣٠]، وقال عز وجل: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) [الطلاق/٢]، وقال سبحانه: (هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) [هود/١٩]، وقال تباركت أسماؤه: (فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [آل عمران/٩٥]، إلى أمثال هذه الآيات وهي كثيرة في القرآن المجيد.

وهنا العاصي الذي سماه الله ظالماً لا يمكن أن يكون مرجعاً عاماً للأمة بعد نبيها، وبتحتملاً المسؤوليات الشرعية المرتبطة بالله تعالى ودينه وشرائعه كلها وهذا

الطريق الأول: النص على إمامته من الله تعالى بواسطة رسوله في نصوصٍ مشتركة ومزدوجة من الكتاب والسنة (٢٩)، ومن الإمام السابق - الثابتة إمامته بالنص المشترك - على الإمام اللاحق.

والطريق الثاني: هو إظهار الله المعجزات وخوارق العادات على يده التي يعجز جميع الناس عن الإتيان بمثلها، والتي يجريها الله على يده ليعلم العباد أن الله - الذي على كل شيء قدير - هو الذي أيده بتلك المعجزات وخوارق العادات.

فالصادق بدعواه الإمامة من صدقه الله بإجراء المعجزات له، والكاذب من كذبه الله بعدم إجراء المعجزات على يده، ومن هذين الطريقين الذين بهما ثبتت الرسالة والنبوة للرسول والأنبياء، ثبتت أيضاً إمامة أئمتنا الهداة من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) وهم علي أمير المؤمنين وأبناءؤه الطاهرون الحسن والحسين والأئمة التسعة من أبناء الحسين (عليهم السلام).

حيث أن النصوص - من الكتاب والسنة على إمامتهم، وظهور المعجزات على أيديهم ولا سيما الإمام الأول منهم وهو علي أمير المؤمنين (عليه السلام) - ثابتة عند شيعتهم بالتواتر القطعي من طرقهم، ومن طرق غيرهم، ومعترف بها عند الجميع، كما انهم هم الذين توفرت فيهم - دون غيرهم - شرائط الإمامة من العصمة والأفضلية بكل معانيها.

وقد برأهم الله من كل عيب كما قد طهرهم من كل رجس وهم كما قال فيهم أبو نؤاس الحسن بن هاني في أبياته الشهيرة:

مطهرون نقيات ثيابهم \*\*\* تجري الصلاة عليهم أين ما ذكروا  
من لم يكن علوياً حين تنسبه \*\*\* فما له في قديم الدهر مفتخر  
فالله لما برى خلقاً فأتقنه \*\*\* صفّاكم واصطفاكم أيها البشر  
وأنتم الملاء الأعلى وعندكم \*\*\* علم الكتاب وما جاءت به السور  
وقال فيهم شاعر آخر:

سلام على آل النبي محمد \*\*\* ورحمة ربي دائماً أبداً تجري  
وصلى عليهم ذو الجلال معظماً \*\*\* وزادهم في الفضل نغراً على نفر  
هم خير خلق الله أصلاً ومحمداً \*\*\* وأكرمهم فرعاً على الفحص والعثر  
وأوسعهم علماً وأحسنهم هدى \*\*\* وأتقاهم لله في السر والجهير  
وأفضلهم في كل فضل مفضل \*\*\* وأقولهم في الحق في محكم الذكر  
وأشجعهم في النزالات وفي الوغى \*\*\* وأجودهم لله في العسر واليسر

أناس علوا كل المعاني بأسرها\*\*\* فدقت معانيهم على كل ذي فكرٍ (٣٠)

الحجة لله قبل الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق

والجدير بالذكر - الذي يلزم التنبية عليه هو - أن الله سبحانه قد شاء - بحكمته البالغة، وقدرته الباهرة - أن لا يخلي الأرض وأهلها - في كل عصرٍ وجيل - من إمام يكون حجةً عليها وعلى أهلها، إماماً مشهوراً، أو خائفاً مستوراً، لثلاث تبطل حجج الله وبيناته، ومجماًلاً: - كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): الحجة قبل خلق الخلق، ومع الخلق، وبعد الخلق (٣١).

ومن هنا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية (٣٢).

وإمام زماننا الآن هو الحجة المهدي بن الحسن العسكري صاحب العصر والزمان، الغائب المنتظر الذي يملأ الله به الأرض كلها قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهو الطالب بثار آبائه الطاهرين وخصوصاً ثار جده الحسين (عليه السلام) يضع سيفه على عاتقه ثمانية أشهر فلا يزال يقتل أعداء الله وأعداء رسوله والجبارة والطواغيت، وبينما هو يقاتل ويبكي وينادي ألا يا أيها العالم إن جدي الحسين قتلوه عطشاناً.

هذا وقد بشرنا الله تعالى به، وبإيرائه الأرض بقوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [الأنبياء/١٠٦].

١- راجع (تفسير الميزان) ج ١٦ ص ٦٨ و ٦٩.

٢- راجع كتاب (الوصي) للعلامة السيد علي تقي الحيدري ص ٢٣، و(البحار) ج ٢٣ ص ٧٤ نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٢٠.

٣- جفخ جفخاً: أي تكبر وتطاول على غيره، وفي بعض النصوص فتجحفوا الناس بجحفاً، ومعنى أبحف أي مال، وخبف بجحفاً أي افتخر بأكثر مما عنده. راجع (المنجد) ص ٧٧ و ٩١.

٤- راجع المحاورة بكاملها في (تاريخ الطبري) ط القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ، و(تاريخ ابن الأثير) ط مصر سنة ١٣٤٨ هـ، و(قصص العرب) ط مصر ج ٢ ص ٣٥٧، و(شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٧ ط دار الكتب العربية مصر، و(الدرجات الرفيعة) لصدر الدين المدني الشيرازي ط النجف ص ٣٠٣، و(المراجعات) لشرف الدين ص ٣١٩، و(المطالعات في مختلف المؤلفات) للسيد محمد علي الحمائي ط الأولى.

٥- راجع تفسيرها في (الميزان) ج ١٦ ص ٣٤٠ ط الأولى وغيره من التفاسير.

٦- تجد الأبيات في مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٥٩.

٧- راجع (سيرة ابن هشام) ج ٢ ص ٣٢، و(السيرة الحلبية) ج ٢ ص ٣، و(السيرة الدحلانية) ج ١ ص ٣٠٢، و(حياة محمد) ص ١٥٢، و(الروض الانف) ج ١ ص ٢٦٤، والغدير ج ٧ ص ١٣٤.

٨- (القبس) ص ١٩-٢٥ و ٤٨-٢٥٦.

٩- لنا تحقيق حول الشورى ضمن شرح الخطبة الشقشقية نسأل الله تعالى ان يوفقنا لنشره.

١٠- راجع تذكرة الخواص ص ٨٥.

١١- (أعيان الشيعة) ج ٣ القسم الثاني ص ٢٣٢.

١٢- راجع (الفصول المهمة) لشرف الدين ص ١٢٧، و(الإمامة والسياسة) ج ١ ص ١٩٧.

١٣- المصدرين السابقين.

١٤- (سنن البيهقي) ج ٨ ص ١٤٩، و(الرياض النضرة) ج ٢ ص ٩٨، (حلية الأولياء) ج ١ ص ٤٤، (سيرة عمر) ص ١٩٠،

(الغدير) ج ٧ ص ١٣٣، راجع مصادر الخطبة الكبرى وطرقها من الفريقين (كاتبنا قبس من القرآن) من ص ٣٤-٣٨، والخطبة

الصغرى رواها الكثير من العامة ومنهم أحمد بن أبي طاهر في (بلاغات النساء)، وأحمد بن عبد العزيز الجوهري في (السقيفة)، وابن

أبي الحديد في (شرح النهج)، ورواها من علمائنا الكثير راجع (البحار) ج ٤٣ من ص ١٥٨-١٧٠.

- ١٥- راجع (الغدیر) ج ١ ص ٢٧٢-٢٨٣، فقد اثبت التهنئة من ستين مصدراً.
- ١٦- راجع (الغدیر) ج ٢ ص ٢٤٣ ط النجف، وقد نقل الأبيات وسبب انشائها عن أمالي الشيخ ص ١٢٤ وفي ط النجف ص ٢٠١.
- ١٧- راجع (أوائل المقالات) للشيخ المفيد ص ٧٦ ط الحيدرية النجف.
- ١٨- راجع (دلائل الصدق) للشيخ محمد حسن المظفر ج ٢ ص ٣ نقلاً عن نهج الحق.
- ١٩- (الكلمة الغراء) المطبوعة مع (الفصول المهمة) ص ٢٠٣-٢١٧، و(الأصول العامة) ص ١٤٩-١٥٩، و(الإجماع) ص ٦٣-٧٧.
- ٢٠- راجع (القبس) من ص ٣٣٧-٣٤٥، و(محمد وعلي وبنوه الأوصياء) ج ١ ص ١١٧-٢٣٩، و(حديث الثقلين) ٣٠ صفحة، و(الثقلان) ١١٠ صحائف وغيرها كثير.
- ٢١- راجع كتابنا (قبس من القرآن في صفات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)) من ص ٥٨-٦٣ في مصادر هذا النص وفي نصين آخرين.
- ٢٢- راجع (إحقاق الحق) ج ٥ ص ٦٢٣-٦٤٥.
- ٢٣- راجع كتاب (الشيعة والتشيع) لمحمد جواد مغنية ص ٤٠.
- ٢٤- نقلنا هذا القول عن (مفكرة ورق الشام) الصادرة بتاريخ ٩/شعبان/١٣٧٧هـ، المصادف ٢٨/شباط/١٩٥٨ ميلادية. وتنقل المفكرة قبل هذا القول ما دار بين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وبين حذيفة بن اليمان من "معارض الكلم" بقول حذيفة له حين سأله: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت والله أكره الحق، وأحبّ الفتنة، وأشهد بما لم أراه، وأصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء، فغضب عمر لقوله، وانصرف من فوره غضباً، وقد عزم على أذى حذيفة، وبينما هو في الطريق، إذ مرّ بعلي بن أبي طالب، فرأى الغضب بادياً في وجهه، فقال ما أغضبك يا عمر؟ فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت أكره الحق، فقال: صدق، يكره الموت وهو حق قال الله تعالى: "وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تُمَيِّدُ" [ق/٢٠]، فقال: يقول: وأحبّ الفتنة، فقال: صدق، يحبّ المال والولد، وقد قال الله تعالى: "إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ" [التغابن/١٦]، فقال: يا علي يقول: وأشهد بما لم أراه، فقال: صدق، يشهد لله بالوحدانية، والموت والبعث والقيامة، والصراط، والجنة، والنار، ولم ير ذلك كلّه، فقال: يا علي ويقول: أصلي على غير وضوء، فقال: صدق، يصلي على ابن عمي رسول الله على غير وضوء، فقال: يا ابا الحسن وقد قال أكبر من ذلك، فقال: ما هو؟ قال: قال: أن لي في الأرض ما ليس لله في السماء، قال صدق له زوجة وولد وتعالى الله عن ذلك، فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب"، أخرجه الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ٩٦، وقال: هذا ثابت عن اهل النقل. وذكره غير واحد بين اهل السير، وابن الصباغ المالكي بتغيير يسير في (الفصول المهمة) ص ١٧ والشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) ص ٧٢، وقد نقل الأميني هذه القصة في (الغدیر) ج ٦ عن المصادر المذكورة.
- ٢٥- (الخصال) ج ١ ص ٣٦.
- ٢٦- راجع (الأمالي) للصدوق ط قم ص ٢٠٥ برواية الأصبغ بن نباتة، وعن أبي البحتري كما في (المناقب) لأخطب خوارزم الحنفي ط النجف ص ٤٧ باختلاف يسير، وكذا في مقتل الحسين للخوارزمي أيضاً ج ١ ص ٤٤، و(ينابيع المودة) للشيخ سليمان الحنفي نقلاً عن الخوارزمي، والحموي في (فرائد السمطين)، وكذا في (فضل الخطاب) لمحمد خواجه البخاري، راجع (الينابيع) ص ٧٤، وص ٢٦٤، وص ٣٧٣، وراجع (إحقاق الحق) ج ٧ ص ٦١٠-٦٢٣.
- ٢٧- (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري ج ١ ص ١٦ ط مصر.
- ٢٨- راجع (دلائل الصدق) للمظفر ط قم ص ٢٠٥، وراجع (ترجمة الشاعر في الغدير) ج ٢ ص ٢٦٢-٢٩٥ وتجد الأبيات في (مناقب ابن شهر آشوب) ج ١ ص ٢٥٨.
- ٢٩- النصوص على إمامة أئمتنا كثيرة ومتواترة من الكتاب والسنة ومن طرق الفريقين وأشرنا إلى بعضها، وقد يأتي بعضها.

٣٠- تجرد الآيات في (نور الأبصار) للشيخ مهدي المازندراني ص ١٠٦.

٣١- (إكمال الدين) للصدوق ص ٤٠.

٣٢- هذا الحديث الشريف وما في معناه من النصوص العديدة ثابت عن النبي f من طرق شتى، حيث أفاضه على أصحابه مراراً كثيرة، وشهرته تغني عن ذكر مصادره، وللتأكيد نشير إلى بعضها فنقول: روى الحديث جملة من الصحابة كعبد الله بن عمر، وابن عباس، ومعاوية بن أبي سفيان، وعامر بن ربيعة، وأبي هريرة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وغيرهم، كما رواه جمع من أئمة الهدى أيضاً وقد روته بالاسانيد المعتبرة الصحاح والسنن والمسانيد كاحمد بن حنبل في مسنده ج ٣ ص ٤٤٦، وج ٤ ص ٩٦، والبخاري في ثاني أبواب كتاب (الفتن)، ومسلم في باب الأمر بلزوم الجماعة من كتاب الإمامة من صحيحه ج ٦ ص ٢١ و٢٢، وأبي داود الطيالسي في مسنده ص ٢٥٦، والبيهقي في سننه ج ٨ ص ١٥٦، والهيثمى في (مجمع الزوائد) من عدة طرق ج ٥ ص ٢١٨، والتفتازاني في (شرح المقاصد) ج ٢ ص ٢٧٥، وأبي جعفر الإسكافي في (خلاصة نقض العثمانية) للمحافظ ص ٢٩، وغيرهم كثير. راجع (إحقاق الحق) ج ٢ ص ٢٩٧ و٢٩٨، و(دلائل الصدق) ج ٢ ص ٦، و(الغدیر) ج ١٠ ص ٣٥٨-٣٦٢، و(إكمال الدين) للصدوق باب ٤٢ في من أنكر القائم ص ٣٨٧-٣٩٢، و(المحاسن) ص ١١٦، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٤ ص ٤٥٩-٤٦٠، و(الرجعة) للمؤلف ص ١١، والحمد لله.

## ٩ الفصل الثالث: هوية الإمام والإمامة في أحاديث

### الفصل الثالث

#### هوية الإمام والإمامة في أحاديث

جاء في هوية الإمام والإمامة، ومكانتها السامية في القرآن المجيد، وفي السنة النبوية الغراء، وأحاديث أهل بيت العصمة الشريفة الكثير، ولكنا اخترنا - بعد التوكل على الله عز وجل - ثلاثة أحاديث شريفة، وجامعة، تبين للأمة عظمة هذا المقام، ومن الذي يصلح له، ومن لا يصلح، وإليك تلك الأحاديث بنصوصها:

#### الحديث الأول:

روى الكليني في (أصول الكافي)، والصدوق في (عيون أخبار الرضا) بسنديهما عن عبد العزيز بن مسلم قال:- كفا في أيام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بمرور، فاجتمعنا في مسجد جامعها، في يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأدار الناس أمر الإمامة وكثرة اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الرضا (عليه السلام) فأعلمته ما خاض الناس فيه، فتبسم (عليه السلام) ثم قال:-

#### إكمال الدين بالإمامة

يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، ان الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى أكمل له الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء بين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كمالاً - أي تاماً كاملاً - فقال عز وجل: [مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ] [الأنعام/٣٩]، وانزل في حجة الوداع وهي آخر عمره (صلى الله عليه وآله): [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] [المائدة/٤] (١).

وأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض (صلى الله عليه وآله) حتى بين لأُمَّته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد سبيل الحق، وأقام لهم علياً (عليه السلام) علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله عز وجل، ومن رد كتاب الله تعالى فهو كافر.

#### محل الإمامة من الأمة

هل يعرفون قدر الإمامة، ومحلها من الأمة فيجوزون فيها اختيارهم، ان الإمامة أجل قدراً وأعظم شأنًا وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد

غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بأرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم.

ان الإمامة خصَّ الله بها إبراهيم (عليه السلام) بعد النبوة، والخلَّة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال عزَّ وجلَّ: [إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا] فقال الخليل (عليه السلام) سروراً بها: [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] قال الله عزَّ وجلَّ: [لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ] [البقرة/١٢٥]. فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرمه الله عزَّ وجلَّ بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة، فقال عزَّ وجلَّ: [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ] (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ] [الأنبياء/٧٣-٧٤].

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي (صلى الله عليه وآله) فقال الله عزَّ وجلَّ: [إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ] [آل عمران/٦٩]، فكانت له خاصة فقلدها علياً بأمر الله عزَّ وجلَّ على رسم ما فرضها الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزَّ وجلَّ: [وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ] [الروم/٥٧].

فهي في ولد علي خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وآله) فن أين يختار هؤلاء الجهال؟

ان الإمامة هي منزلة الأنبياء وارث الأوصياء، إن الإمامة خلافة الله عزَّ وجلَّ، وخلافة الرسول ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين؟.

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزَّ المؤمنين.

إن الإمامة أس الإسلام النامي - أي أصله - وفرعه السامي.

الإمام الدال على الهدى والمنجي من الردى

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير النبي والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف، الإمام يُحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة للعالم وهي بالأفق بحيث لا تتأهلها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيد القفار ولجج البحار، الإمام الماء العذب على الظماء والدال على الهدى والمنجي من الردى، والإمام النار على اليفاع - اليفاع ما أرتفع من الأرض - الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك، ومن فارقه فهالك، الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل، والشمس المضيئة والسماء الظليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة والغدير والروضة، الإمام الرقيق والولد الرقيق والأخ الشفيق، ومفزع العباد في الداهية، الإمام أمين الله في أرضه وحجته على عباده وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله والذاب عن حرم الله، الإمام المطهر من الذنوب المبرأ من العيوب، مخصوص بالعلم موسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين، الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد له بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب "أي أن الله يخصهم بالعلم والفضل، وسنذكر ذلك ان شاء الله بالدليل القطعي".

فن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام ويمكنه اختياره؟ هيئات ضلَّت العقول وتاهت الحلوم حارت الأبواب وحسَّت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلما وحصرت الخطباء وجهلت الأبواب وكَلَّت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت (٢) البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله فافترت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بكِّه أو ينعت بكِّه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقام مقامه، ويغني غناه، لا، كيف وأنى وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين.

أقول: ويؤيد قول الإمام الرضا (عليه السلام) من معرفة الإمام قد ضلَّت عنها العقول وتاهت الحلوم، وأنه لا يوصف بكِّه ولا ينعت بكِّه... الخ، ويؤيده ما ورد عن جده رسول الله الصادق بقوله لعلي أمير المؤمنين: يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني

إلا الله وأنت، وما عرفك يا علي إلا الله وأنا (٣).

وأحسن من قال:

ليس يدري بكنهه ذاتك ما هو\*\*\* يا بن عم النبي إلا الله

ثم قال الإمام الرضا (عليه السلام) في حديثه: فأين الاختيار من هذا؟ وأين العقول عن هذا؟ وأين يوجد مثل هذا؟ أظنوا أن يوجد ذلك في غير آل الرسول (صلى الله عليه وآله)؟ كذبهم والله أنفسهم ومنتهم الباطل، فارتقوا مرتقى صعباً دحضاً (٤)، تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول بائرة ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً: [قاتلهم الله أنى يؤفكون] [التوبة/٣]، لقد راموا صعباً وقالوا فكاً، و[ضلوا ضلالاً بعيداً] [النساء/١٦٨]، ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة [وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين] [العنكبوت/٢٩] (٥).

ورغبوا عن اختيار الله واختيار رسوله إلى اختيارهم، والقرآن يناديهم [وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون] [القصص/٦٩].

وقال عز وجل: [وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً] [الأحزاب/٣٧].

وقال عز وجل: [ما لكم كيف تحكون \* أم لكم كتاب فيه تدرسون \* إن لكم فيه لما يخبرون \* أم لكم إيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكون \* سلّمهم أيهم بذلك زعيم] (٤٠) أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين] [القلم/٣٧-٤٢].

وقال عز وجل: [أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها] [محمد/٢٥]، أم [طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون] [التوبة/٨٧]، أم [قالوا سمعنا وهم لا يسمعون \* إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون \* ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون] [الأنفال/٢٢-٢٤]، و[قالوا سمعنا وعصينا] [البقرة/٩٤]، بل هو [فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم] [الحديد/٢٢].

فكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وراعي لا ينكل، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، فالنسب من قريش، "وفي نص": فالبيت من قريش والذروة من هاشم والعترة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله) والرضا من الله عز وجل، شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، نامي الحلم، مضطلع بالإمامة - أي قوي فيها - عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله. منبع علوم الأنبياء والأئمة

أن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوقفهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتیه غيرهم، فيكون عليهم فوق كل علم أهل زمانهم - فأنظر - في قوله تعالى: [أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع آمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكون] [يونس/٣٦].

وقوله عز وجل: [ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب] [البقرة/٢٧٠]، وقوله عز وجل في طالوت: [إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم] [البقرة/٢٤٨] (٦).

وقال عز وجل لنبيه (صلى الله عليه وآله): [وكان فضل الله عليك عظيماً] [النساء/١١٤].

وقال عز وجل في الأئمة من أهل بيت نبيه وعترة وذريته: [أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد اتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكاً عظيماً] (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً] [النساء/٥٥-٥٦].

وإنَّ الع

٥- قول الله تعالى: "وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ" وقول الإمام في حديثه: تركوا الإمام عن بصيرة، هذان النصان من القرآن والحديث يدلان - بوضوح - على أن تاركي إمامة الأئمة من آل محمد (عليهم السلام) ما كانوا جاهلين بها، بل كانوا عارفين مستبصرين بأنها لهم دون غيرهم، بل قد عرفوا أيضاً عظيم مقامهم واستحقاقهم لها، وتيقنوا ذلك، ومع ذلك عدلوا عنهم إلى غيرهم ظلماً واستكباراً وتعالياً كما قال تعالى "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" [النمل/١٥]، ولذلك - كما لا يخفى - أسباب كثيرة ومجملها أن الأئمة من آل محمد (عليهم السلام) على الحق ومع الحق، وطبيعة الغالب من الناس والكثير منهم الكره للحق كما قال تعالى: "أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \* أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ \* وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ" [المؤمنون/٧٠-٧٢]، وقال تعالى: "لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرُكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ" [الزخرف/٧٩].

٦- لنا في كتابنا "الشفاء الروحي والجسمي في القرآن من ٢٥٣-٢٦٥، تعاليق حول الآية وقصتها تحت العناوين التالية: "قصة طالوت مع بني إسرائيل وآياتها"، "موارد الاستشفاء والعبرة بالقصة"،

١- الهدف من القصص القرآنية الهداية إلى الحق.

٢- اختيار حجج الله بيد الله عز وجل.

٣- جعل الله آية ومعجزة لمن يختاره من حججه.

٤- طبيعة الناس المخالفة لله ولحججه إلا من عصم.

٥- نصر الله إنما يكون بصبر الثابتين على دينه وإن قلوا.

٧- قول الإمام: تعدوا وبيت الله الحرام، هذا قسم منه ببيت الله وهو يدل بكل صراحة على جواز القسم بغير الله عز وجل ولا مانع منه، وقد ورد القسم بغير الله في القرآن وفي الأحاديث بكثرة.

٨- راجع الحديث في (عيون أخبار الرضا) للصدوق ج ١ ص ٢١٦-٢٢٢، و(الشافى في شرح أصول الكافي) المجلد الثالث ص ١٠١-١٠٩، و(الاحتجاج) للطبرسي ج ٢ ص ٢٢٦، و(معاني الأخبار) للصدوق باب معنى الإمام المبين ص ٩٦.

٩- راجع (الشافى في شرح أصول الكافي) المجلد الثالث ص ١٠٩.

١٠- أشار الإمام بقوله: "نحن شجرة أصلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ... الخ، إلى حديث الشجرة المعروف الشهير الذي روته كتب الصحاح والسنن والمسانيد والتفسير والحديث والتاريخ من طرق كثيرة، ونصوص عديدة، عن جملة من القرابة والصحابة عن الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله)، ذكرنا بعض نصوصه وطرقه ومصادره في كتابنا (الحقائق الكونية) ج ٢ ص ٤١-٤٤، وراجع إذا شئت كتاب (تعليقات إحقاق الحق) للسيد شهاب الدين التجني ج ٥ ص ٢٥٥-٢٦٩، وج ٩ من ص ١٤٩-١٥٩، وكتاب (محمد وعلي وبنوه الأوصياء) للشيخ نجم الدين العسكري ج ١ من ص ٣٠٣-٣١٤.

١١- الأمانة المعروضة على السموات ومعناها:

قول الإمام والأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال، أي نحن وإمامتنا الأمانة التي عرضت على السموات، وقد أشار بذلك إلى قول الله عز وجل "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا" [الأحزاب/٧٣]. والأمانة معناها شيء يودع عند الغير ليحتفظ به ثم يرده إلى من أودعه عنده، أو ليقضي به مأربه ثم يرجعه إليه، فهناك أناس يؤدّون الأمانة، أي يرجعونها إلى أهلها كما هي، وهناك أناس يخونونها.

هذا معنى الأمانة لغةً، وقد يُطلق لفظ "الأمانة" على الدين الذي شرّعه الله عز وجل لعباده وبعث به رسله وأنبياءه، وعلى هذا يكون الدين أمانة الله عند عباده، ولكن العباد منهم من يحافظ على دينه ويؤدّيه كما شرّعه الله عز وجل ومنهم من يخونه بأنواع الخيانات،

إِذَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ مَا تَهَوَّاهُ نَفْسُهُ، وَمَا يَنْفَعُهُ فِي دُنْيَاهُ فَقَطْ، وَإِلَى أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ يُشِيرُ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" [البقرة/٨٦]، وإما أن يخون دينه بارتكاب أنواع المعاصي والسيئات، وأنواع الظلم والجرائم وترك الواجبات والفرائض بلا ندم ولا توبة وإلى أمثال هؤلاء يشير قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ" [الأنفال/٢٨]. ومعلوم أن هذه الخيانات - بكل أنواعها - تعود أخيراً بالضرر على الخائنين أنفسهم، فهم يخونون أنفسهم قبل أن يخونوا الله ورسوله، وإلى ذلك يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: "وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَلِيمًا" [النساء/١٠٨]، وقال تعالى: "عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ" [البقرة/١٨٨]، وإلى مجموعة هذه الخيانات يشير قوله تعالى مخاطباً نبيه (صلى الله عليه وآله): "وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [الأنفال/٧٢]، نعم أمكن الله منهم فأخزاهم واذلهم في الدنيا، واستحقوا العذاب الأليم في الآخرة، فالذين يؤدّون أمانة الدين وقيمونه كما هو هم الأعداء في الدارين، والذين يخونون دينهم ولا يؤدّوه كما هو هم الأعداء في الدارين، وفي طليعة من حملهم الله دينه، وأدّوه كما هو من غير تبديل ولا تغيير - في هذه الأمة - هم نبينا وأهل بيته الأئمة الأطهار (عليهم السلام).

فهم إذن الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشققن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً. فالأمانة تطلق على الدين، وتطلق أيضاً الأمانة - بالخصوص - على الولاية الإلهية التي جعلها الله تعالى - في تشريعاته الحكيمة - بعد ولايته جلّ وعلا في هذه الأمة لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله) وبعده علي أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين من أهل بيته. فهم إذن الأمانة، أي هم أهل الولاية والإمامة العامة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) قال تعالى "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" [المائدة/٥٥].

وقد أجمع المفسرون أن هذه الآية الكريمة نزلت في علي أمير المؤمنين حينما تصدّق بخاتمته في الصلاة وهو راكع، نزلت فيه، وهي جارية في أبنائه المعصومين من بعده ولكن هذه الولاية حملها بعض الناس ظلماً وجهلاً وإلهم تشير الآية المبحوث عنها "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا".

أما سائر الناس فمنهم من تبع أهل ولاية الله الحقّة من رسل وأنبياء وأئمة، ومنهم من تبع الإنسان الظلوم الجهول، وحساب الجميع والقضاء فيما بينهم بيد الله يوم القيامة يجازي كلاً بما يستحق من الجزاء، قال تعالى "إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" [يونس/٩٤]، ولزيادة الإيضاح، والتأكد راجع إذا شئت (البحار) ج ٢٣ ص ٢٧٣-٢٨٣ باب: أن الأمانة في القرآن الإمامة، وراجع تفسير الآية، والتي بعدها في آخر سورة الأحزاب: في كتاب (الميزان) في تفسير القرآن ج ١٦ ص ٣٧٠-٣٧٦.

١٢- راجع الفصل السابع من كتابنا (قبس من القرآن) وعنوانه "الرسول الأعظم والنور الذي انزل معه" لتعلم حقيقة نورهم وتسيحهم حول العرش وأدلته من ص ٣٠٧، وإلى آخر الكتاب ص ٣٤٦.

١٣- إن قيل: هل هم أنبياء حتى يوحى إليهم، الجواب: الوحي كلام خفي، ويكون من الله للأنبياء ولغير الأنبياء بواسطة الملائكة أو بغير واسطة، والدليل على ذلك قوله تعالى: "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" [القصص/٨]، أما كلام الملائكة لهم فسيأتيك دليله إن شاء الله تعالى، وذكرناه في كتابنا (الحقائق الكونية) ج ١ ص ٨٣-٨٦ تحت عناوين عديدة، فراجع إذا شئت.

١٤- رمدت الغم، هلكت من برد أو صقيع، والصقيع الجليد الذي يسقط من السماء في الليل كأنه ثلج "القاموس".

١٥- راجع (تفسير فرات بن إبراهيم) ص ١٤٧-١٤٨، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٢٢٤-٢٤٦.



## ١٠ الفصل الرابع: صفات خمس لنبينا (ص) في القرآن شاركه بها أئمة الهدى

### الفصل الرابع

صفات خمس لنبينا (صلى الله عليه وآله) في القرآن، شاركه بها أئمة الهدى  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) (الأحزاب/٤٦-٤٧).

وصف الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بهاتين الآيتين من سورة الأحزاب بخمس صفات جليلة، هن من شؤون نبوته ورسالته، وحجته وولايته العامتين على أمته وعلى أهل الأرض جميعاً.

الأولى: كونه (صلى الله عليه وآله) شاهداً

الصفة الأولى كونه "شاهداً" يشهد على أمته يوم القيامة كما يشهد على الناس أجمعين من يهود ونصارى ومشركين وملحدن فيما يعتقدون ويعملون من إيمان أو كفر، وطاعة أو معصية، يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة حتى يجازى كل بما اعتقد وعمل طبق اعتقاده وعمله، وطبق شهادة الرسول (صلى الله عليه وآله) له أو عليه.

وكون النبي (صلى الله عليه وآله) شاهداً على أمته وعلى الناس أجمعين هذه حقيقة قرآنية قد نص عليها القرآن في سور عديدة وآيات كثيرة، منها الآية المبحوث عنها) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا (وهكذا قال تعالى في سورة الفتح: إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الفتح/٩).

ومنها قوله تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (المزمل/١٦).

بل يصرح القرآن المجيد بأن كل أمة من الأمم جعل الله عليها شهيداً منهم من نبي أو رسول أو إمام، قال تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (النساء/٤٢).

وقال تعالى: وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتُرُونَ (القصص/٧٦).

وقال تعالى: وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (النمل/٩٠).

وقال تعالى: وَيَوْمَ نَبِّئُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (النحل/٨٥).

وقال تعالى: وَوَضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (الزمر/٧٠).

إلى غير ذلك من الآيات، ومن هنا جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: لكل زمان وإمام، تبعث كل أمة مع إمامها (١)، وإنما تبعث كل أمة مع إمامها ليشهد عليها.

أما هذه الأمة الإسلامية التي هي آخر الأمم فشهيدها الأول وبالإجماع - بعد الله تعالى - هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن هل هناك شهود عليها غير الرسول الأعظم؟ نعم، الشهود عليها بعد الرسول إنما هم أهل بيته أئمة الهدى من بعده، يشهد كل إمام منهم على أهل زمانه.

الأمة الوسط الشهيدة على الناس إنما هم الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله)

وهذا أيضاً أشار إليه القرآن وذكره في عديد من آياته، ومنها قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (البقرة/١٤٤).

لنقف قليلاً أو كثيراً عند هذه الآية الكريمة من سورة البقرة ونتدبر في المراد من الأمة الوسط التي جعلها الله شهيدة على الناس.

نعم هذه الآية - حسب نصها - تقول: إن الأمة الوسط هي الشاهدة على الناس، ولكن من المراد من الأمة الوسط هل هي الأمة الإسلامية بكاملها تشهد على الناس ويشهد بعضها على بعض؟ كما يصرح به إخواننا أهل السنة في تفاسيرهم، وبعض أخبارهم؟ كالسيوطي في تفسيره (الدر المنثور) (٢) .

والفخر الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) (٣) .

وابن كثير الدمشقي في تفسيره (القرآن العظيم) (٤) ، وغيرهم .

نعم الفخر الرازي استثنى من مجموع الأمة ثلاث فرق حيث قال: دلت الآية على أن من ظهر كفره وفسقه نحو المشبه، والخوارج، والروافض فإنه لا يُعتد به في الإجماع، لأن الله إنما جعل الشهداء من وصفهم بالعدالة والخيرية... الخ (٥) .

ليست الأمة كلها شهداء

ونحن نرى أن تفسير الأمة الوسط بالأمة الإسلامية كلها، وحتى لو استثنى منها - برغم الفخر الرازي - المشبه والخوارج والروافض، نراه تفسيراً يخالف العقل والوجدان، والذوق، والمنطق السليم، والتحليل العلمي، كما يخالف النصوص القرآنية، من جهات عديدة .

منها إنَّ الشاهد يجب أن يكون عالماً بما يشهد به، إذ معنى "شهد فلان عند الحاكم، أو عند القاضي" أي بين له ما شهدته وحضره، أو بين له ما علمه علم اليقين، أما إذا كان الشاهد غير عالم بما يشهد به، أو غير مشاهد لما يشهد به فلا يعتبر شاهداً، ولا تقبل منه الشهادة أصلاً، وإذا كان كذلك فمن أين للأمة وأفرادها العلم بما يشهدون به على الناس، مع أنهم يعيشون في أدوار متعاقبة لم يعاصر بعضهم بعضاً، كما يعيشون في الدور الواحد في الشرق والغرب قد لا يرى أحدهم الآخر، وعلى فرض أنهم يعيشون معاً في بلد واحد وحتى لو كانوا في محلة واحدة فهل يعلم أحدهم بكامل أعمال الآخر؟ قطعاً لا، وعلى فرض أنه يشهد ببعض ما شاهدته من عمله، فهل يعلم هذا الشاهد بحقيقة ذلك العمل وما نوى به صاحبه من حق أو باطل؟ مثلاً شاهدتني أصلي وشهدت لي بما عملت وشاهدت لكن هل تعلم أنني صليت خالصاً لوجه الله أو كانت صلاتي رياء؟ وهل علمت أن صلاتي - مثلاً - كانت جامعة لشرائط القبول أم لا؟ قطعاً لا تعلم ذلك، فكيف تشهد به؟ وكيف يقبل الله شهادتك؟

هذا مع العلم أن الله يحاسب الناس يوم القيامة بما كسبت قلوبهم وما انطوت عليه ضمائرهم من الحقائق في الأعمال، ومن المعاني النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران كما قال تعالى: (وَلَكِنْ يُوْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) (البقرة/٢٢٦) . وهذه الأمور النفسانية لا تدركها الحواس الخمسة الظاهرية، ولا يعلمها أحد إلا الله، أو من يعلمه الله ويتولى أمره ويكشف له ذلك بنفسه لأنه تعالى هو وحده العالم بما في الضمائر المطمع على ما في السرائر، وعلى كل لا بد من أن يكون الشاهد عالماً بما يشهد به، وليس ذلك باستطاعة الأمة بكاملها بحكم العقل والوجدان والذوق السليم والمنطق الحاسم، والتحليل العلمي .

يجيب بعض المفسرين والمحدثين عن هذا الإشكال الحقيقي البين ببعض الأحاديث، وينسبونها إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ومضمونها: أن هذه الأمة تشهد على الأمم الماضية كأمة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، حيث ان هذه الأمم تنكر أن يكون قد جاءهم نذير ورسول من الله، يقولون: ما آتانا من نذير، وما آتانا من أحد، فيقال للرسول ك (نوح وغيره): هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد (صلى الله عليه وآله) وأمته، فيدعى بمحمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومهم؟ فيقولون: نعم، فيقال: ما علمكم؟ جاءنا نبينا فأخبرنا إن الرسل قد بلغوا، فذلك قوله تعالى: (وَكذلك جعلناكم أمةً وسطاً) أي عدلاً (٦) .

وأقول: على فرض صحة هذا الخبر، فالقرينة دالة على أن الأمة الشاهدة مع نبيها إنما هم أهل بيته أئمة الهدى الاثنى عشر، لا الأمة كلها يدعى بها لتشهد، فإن هذا غير معقول ولا مقبول، هذا من جهة .

ومن جهة ثانية إنَّ الشاهد يجب أن يكون عادلاً وإلا لا يصح الاستشهاد به في الدنيا فضلاً عن الآخرة، قال تعالى: (وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ) (الطلاق/٣) .

والحال الأمة الإسلامية - بحكم الضرورة والبداهة - فيها العادل والظالم، والمؤمن والمنافق، والبر والفاجر، فكيف يستشهد الله تعالى بهم جميعاً؟ هذا ما لا يرتضيه العقل ويخالف الوجدان والذوق والمنطق السليم، والتحليل العلمي ويخالف أيضاً القرآن العظيم، يقول تعالى مخاطباً المؤمنين من هذه الأمة: (إِنْ يَمْسَسُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران/١٤١)، فقوله تعالى: (وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ) لفظة "منكم" هنا للتبويض، أي يتخذ بعضكم شهداء، فلو أن الأمة تشهد لقال: (ويتخذكم شهداء) وهذا دليل قرآني واضح على أن الشهداء على الأمة الإسلامية بعضها لا كلها، فمن أولئك البعض؟:

إنما هم خلفاء النبي على أمته من بعده وهم أئمة الهدى، وهذه الجهة الثانية.

ومن جهةٍ ثالثة إن القرآن يُصرح بأن كل أمةٍ من الأمم يجعل الله عليها شهيداً واحداً كما في قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ) (وقوله تعالى: وَيَوْمَ نَبِّئُ مَنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً) (وقوله تعالى) وَيَوْمَ نَبِّئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ (وقوله تعالى: وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً) (إلى غير ذلك من الآيات الأخرى في هذا المعنى.

إذاً كيف يجعل الله هذه الأمة كلها شهداء؟ فهذا المعنى يخالف سنة الله الجارية في الأمم، ومعلوم أن سنة الله في خلقه لا تتحول ولا تبدل (قال تعالى: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) (الأحزاب/٦٣).

والخلاصة أن الشهداء على هذه الأمة إنما هم الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) كل واحدٍ منهم يكون شهيداً على أهل زمانه دون غيرهم.

الأمة الوسط في الأحاديث

كما جاء هذا المعنى صريحاً في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): (إنما أنزل الله تعالى: (وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) (يعني عدلاً)، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) قال: "ولا يكون شهداء على الناس إلا الأئمة والرسول، وأما الأمة فإنه غير جائز أن يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته على حزمة بقل (٧).

وقال الإمام الباقر (عليه السلام) أيضاً في قوله تعالى: (وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لتكونوا شهداء على الناس) قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه، وحججه في أرضه (٨).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أيضاً في المراد من الأمة: هم الأئمة (٩).

إلى غير ذلك من الأخبار الصريحة في هذا المعنى وهي كثيرة جداً ومتواترة، حتى أن شيخنا المجلسي في (البحار) نقل في باب عرض الأعمال على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة وأنهم الشهداء - خمسة وسبعين حديثاً في الشهادة على الناس، وان الشهداء هم الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) (١٠).

وهذا المعنى جاء في بعض روايات أهل السنة فقد روى الحاكم الحسكاني في كتابه (شواهد التنزيل) باسناده عن سليم بن قيس عن علي (عليه السلام) انه قال: ان الله تعالى إيانا عنى بقوله: (لتكونوا شهداء على الناس) (فرسول

وهنا قد يأتي سؤال يفرض نفسه بنفسه فيقال: من أين جاء العلم للأئمة بكل أعمال الأمة وأعمال الناس جميعاً، وهم أفراد من الأمة حتى يشهدوا عليهم وعلى غيرهم بكامل أعمالهم وحقائقها؟ فنقول: ان عليهم باعمال الناس أجمعين مع حقائق أعمالهم وعقائدهم لا من عند أنفسهم، ولو قلنا أنهم (عليهم السلام) علموا ذلك من أنفسهم بأنفسهم لكان ذلك شركاً بالله وكفراً به، ولكن الله جلّ وعلا لما جعلهم حججاً على عباده، وجعل لهم الولاية العامة على الناس بعد ولايته وولاية رسوله (صلى الله عليه وآله) بقوله: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (المائدة/٥٦).

وقد اجمع المفسرون ان هذه الآية المباركة كانت قد نزلت في علي أمير المؤمنين (عليه السلام) حينما تصدق بخاتمته في الصلاة وهو راح، وهي جارية في أبنائه من الأئمة الطاهرين من بعده (٢١).

فهؤلاء الأئمة هم الذين تولى الله سبحانه تعليمهم بكامل أعمال الأمة والناس أجمعين بما آتاهم من العلم الواسع الغزير، وبما أطلعهم عليه من تصرفات الناس وسلوكها ونواياها، وأشار إلى ذلك في بعض الآيات القرآنية النازلة فيهم (عليهم السلام).

ومن تلك الآيات قوله تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (العنكبوت/١٤٨).  
 فقد صح عن أئمة الهدى منهم الإمام الباقر والصادق والرضا (عليهم السلام) العديد من رواياتهم التي ذكرها المحدثون والمفسرون كشيخنا الكليني في (الكافي)، والقمي في (تفسيره)، و فرات بن إبراهيم في (تفسيره)، وابن شهر آشوب في (المناقب)، ومحمد بن الحسن الصفار في (بصائر الدرجات)، والطبرسي في (مجمع البيان)، والمجلسي في (البحار) وغيرهم كثير أنهم (عليهم السلام) فسروا قوله تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بأنهم هم الأئمة من آل محمد خاصة، أي بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنه من عيسى أن يكون غيرهم، وأنهم هم الراسخون بالعلم، وأن صدورهم هي الحاوية لتلك الآيات البيّنات فراجع (٢٢).  
 طرق علومهم (عليهم السلام) ومنابعها

أما طرق علومهم (عليهم السلام) بذلك وغير ذلك من أنواع العلوم الكثيرة وينابيعها الممنوحة لهم من الله تعالى فنذكر منها ما يلي:

#### الطريق الأول الإلهام

أولاً العلم الإلهامي: وهو أفضل طرق علومهم وأساسها الذي منه تنفرد جميع الطرق والجهات الأخرى، وذلك بأن يُلهمهم الله ما يشاء من العلوم، وهو المعبر عنه - في بعض أحاديثهم أنه - (نكت في القلوب) وفي بعضها (قذف في القلوب) (٢٣).  
 وقال الإمام الرضا (عليه السلام) في حديثه عن الإمامة وشؤونها - وقد مرّ حديثه في الفصل السابق قال (عليه السلام): وإنّ العبد إذا اختاره الله عزّ وجلّ لأمر عباده شرح لذلك صدره، وأودع قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب ولا يحميد فيه عن الصواب، وهو معصوم مؤيد، موفق مسدد قد أمن من الخطايا والزلل والعتار ... الخ.  
 التحليل والدليل على تلقي الفيوضات الإلهية للمخلصين

وهذا المعنى وهو كونهم (عليهم السلام) ملهمين العلم ومؤيدين من الله تعالى ليس بعجيب ولا غريب من قدرة الله الذي هو على كل شيء قدير، كما أنه ليس ببعيد من تحقيق إرادته ومشيئته تعالى في إيتائهم العلم الإلهامي، وبيان ذلك هو أن الثابت بالأدلة القطعية أن العبد المؤمن بالله إذا ازداد إيماناً به عزّ وجلّ، وإخلاصاً له بأعماله، وصبراً وجهاداً في سبيله يكون ذلك العبد مستحقاً وقابلاً لتلقي أنواع الفيوضات الإلهية، والمواهب الربانية بمقدار ما عنده من إيمان وإخلاص وصبر وجهاد، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (العنكبوت/٧٠).

وقال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد/١٨).  
 ومعلوم أنّ من كان مع الله كان الله معه، ومن أصلح لله أمراً أصلح الله له أموره، وقال النبي (صلى الله عليه وآله) فيما رواه الخصاص العام كالصدوق في عيون أخبار الرضا، وابن عبد ربّه الأندلسي المالكي في (العقد الفريد) وغيرهما (٢٤).

انه (صلى الله عليه وآله) قال ما اخلص عبد لله عزّ وجلّ أربعين صباحاً إلاّ جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وفي نص آخر: من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وقال (صلى الله عليه وآله): من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (٢٥).

وقال (عليه السلام): من زهد في الدنيا، ولم يجزع من ذلها، ولم ينافس في عزها "أي لم يفاخر غيره تطاولاً عليه" هداه الله بغير هداية

من مخلوق، وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه (٢٦).  
ويقول النبي (صلى الله عليه وآله): ليس العلم في السماء فينزله عليكم، ولا في الأرض فيخرج إليكم، ولكنه مودع في نفوسكم، تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم.

فتذكر - أيها المطالع الكريم - في أنّ أيّ مؤمن من سائر المؤمنين جاهد في الله استحق الهداية الخاصة من الله تعالى، وأنه يكون مع الحسين المجاهدين هادياً ومرشداً وناصرًا ومعلمًا، وأنّ من أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت وظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، ومن زهد في الدنيا ولم يجزع ولم يفاخر غيره تطاولاً هداه الله بغير هداية من مخلوق وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه، إذاً كيف بمن كان مجاهداً في الله حق الجهاد طيلة حياته بكل ما للجهاد من معنى، ومخلصاً له عزّ شأنه في عباداته كافة وأنواع تصرفاته في كل أيامه ولياليه لا يريد بذلك إلا وجهه الكريم وطلب رضاه، وعاملاً بكل ما أوتي من علم على الإطلاق من كلّ وجزي، وزاهداً في الدنيا بكل ما للزهد من معنى، فهذا الإنسان المتصف بأعلى وارق هذه الصفات من الجهاد والإخلاص والعمل الصالح مع الزهد، وقد علم الله ذلك منه أما يستحق أن يميّزه على غيره ويخصّه بما لم يخص به أحداً من العالم؟

وبهذا يتضح لك السر في أن الله قد أتى نبيه والأئمة من أهل بيته الأطهار ما لم يؤت أحداً من العالمين، ومن جملة ما آتاهم العلم الإلهامي الذي تفوقوا به على الأمة كافة، وجعلهم خلفاء في أرضه وحججاً على عباده، وشهداء على خلقه.  
قال إمامنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه: إنّ الله تبارك وتعالى طهرنا، وعصمنا، وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا (٢٧).

شهادة القرآن لهم (عليهم السلام) بالإخلاص  
وقد شهد لهم القرآن بالإخلاص في الأعمال لله، وطلب رضاه ووجهه الكريم بآيات عديدة قد أنزلها الله تعالى فيهم، وفي إكبار أعمالهم منها قوله تعالى في سورة (هل أتى) التي أنزلها في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) حينما تصدقوا بقوتهم على المسكين واليتيم والأسير) إنّ الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً (٥) عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً (٦) يوفون بالندب ويخافون يوماً كان شره مستطيراً (٧) ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً (٨) إنّما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً (الإنسان/٦-١٠).

وقال تعالى في علي (عليه السلام) حين بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليلة الهجرة فادياً له بنفسه: ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءً مرضاة الله والله رءوف بالعباد (البقرة/٢٠٨)، إلى غير ذلك من الآيات البينات (٢٨).  
أقسام العلوم بالنسبة إلى طرق تحصيلها، وعلم الأئمة (عليهم السلام) اللدني  
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر/١٠).

هذه الآية الكريمة من سورة الزمر من الآيات القرآنية الكثيرة التي تميّز بين صنفين من الناس، إذ على غرارها وأسلوبها آيات أخر، بعضها مثلاً تميّز وتفرق بين المؤمن والفاسق كقوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) (السجدة/١٩)، وبعضها تفرق بين المسلمين والمجرمين كقوله تعالى: (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) (٣٥) ما لكم كيف تحكمون) (القلم/٣٦-٣٧)، وبعضها تميّز بين الطيب والخبيث من الناس كقوله تعالى: (قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة/١٠١)، وهكذا آيات كثيرة تعدّ بالعشرات تميّز بين أصناف الناس ومنها هذه الآية المبحوث عنها: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي

الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (فقد ميزت هذه الآية الكريمة بين من يعلمون وبين من لا يعلمون، والعقل السليم يستقل في التمييز بين هذين الصنفين، فيجزم جزءاً قاطعاً في أن الذين يعلمون أفضل وأولى من الذين لا يعلمون، واستناداً إلى حكم العقل قال تعالى في خاتمة الآية: إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ( وأولوا الألباب هم أهل العقول، إذ الإنسان كالقشر، ولبه عقله.

ولما كان العالمون مختلفين في درجات علمهم وأنواعه فبعضهم أعلم وأفضل من بعض نرى أن العقل يجزم قاطعاً بأن الأعم بنوع من العلم أفضل من غيره، كما أن الأعم بكل علم يحتاجه الناس يكون أولى باتباع الناس له - بحكم العقل - في جعله مرجعاً عاماً لهم دون غيره، وخصوصاً علماء الدين.

أهل البيت أعلم الأمة، وفيهم نزلت الآية الكريمة وأعلم هذه الأمة - على الاطلاق - بعد نبيها هم أهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم، وهم الذين نزلت هذه الآية الكريمة فيهم على ما روى الكليني في (الكافي) بسنده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ( ... الخ قال: نحن الذين يعلمون، وعدونا الذين لا يعلمون، وشيعتنا أولوا الألباب (٢٩).

ولقد احسن الأديب السيد محمد نجل العلامة السيد رضا الهندي في تضمينه قسماً من الآية المبحوث عنها في أبيات من الشعر قال: يا سائلي عن علماء حكماة فضلاً\*\*\* وعن رعا ع هجج بكل شيء جهلاً

أما قرأت قوله قدس شأننا وعلا\*\*\* هل يستوي الذين يعلمون والذين لا؟ .

وقد الحقت بها أبياتاً أخرى فقلت:

فالعقل يجري حكمه في هؤلاء وهؤلاء\*\*\* بان من يعلم لا يقاس فيمن جهلاً  
والعالمون شمت فيهم فاضلاً وأفضلاً\*\*\* والأفضلون قدّموا بالعقل عند العقلا حبلًا  
والفخر للفضل والأكل أن لا يوصلوا\*\*\* بغير الله والإسلام إن رام العلا محمد  
والفضل كل الفضل موصول إلى\*\*\* وآله الأطهار سادات الملا  
نعم آل محمد (صلى الله عليه وآله) هم

وهذا علي بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) شيخ العلويين في عهد الإمام الجواد سنناً وفضلاً، وكان إذا أقبل الجواد يقوم له ويقبل يده، وإذا خرج يسوي له نعله، وسئل عن الإمام الناطق بعد الإمام الرضا من هو؟ فقال: هو أبنه أبو جعفر، فقيل له: أنت في سنك وقدرك، وأبوك جعفر بن محمد تقول هذا القول في هذا الغلام؟ فقال للسائل: ما أراك إلا شيطاناً، ثم أخذ بلحيته وقال: فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا (أي لمنصب الإمامة) ولم ير هذه الشبهة لهذا أهلاً (٣٦).

هذا وعلي بن جعفر الصادق أخو الكاظم، والكاظم (عليه السلام) جد الجواد، فما ترى بينهما من السن، وعلي أخذ العلم من أبيه الصادق، وأخيه الكاظم، وابن أخيه الرضا، فلو كان علمهم بالتحصيل والكسب لكان علي أكثر تحصيلاً واكتساباً، ولو كانت الإمامة بالسن لكان علي أكبر العلويين سنناً.

على أن الجواد قد فارقه أبوه يوم سافر إلى خراسان وهو ابن خمس سنين، فمن الذي كان يؤدبه ويثقفه بعد أبيه حتى جعله بتلك المنزلة العلمية الرفيعة؟ وقبض الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة وأبناً هذا السن لم يبلغ من العلم شيئاً كثيراً لو انفق عمره كله في الطلب، فكيف يكون عالم الأمة ومرشدها، ومعلم العلماء ومثقفهم؟ وقد رجعت إليه الشيعة وعلمائها من يوم وفاة أبيه الرضا (عليه السلام).

حتى ان بعضهم - ويقال له يونس بن عبد الرحمن - شكك في إمامته لصغر سنه، فردّ عليه الريان بن الصلت قائلاً: إن كان أمره من الله جلّ وعلا، فابن يوم واحد أو ابن يومين مثل ابن مائة سنة، وان لم يكن من عند الله فلو عمر ألف سنة، وفي نص: خمسة الآف

سنة ما كان يأتي بمثل ما يأتي به السادة أو بعضه، ويكون كواحدٍ من الناس (٣٧).

وعلى كلِّ علم الأئمة (عليه السلام) إلهامي من الله تعالى.

إعتراف المأمون بعلم الأئمة الإلهامي، واحتجاجة على العباسيين

وقد اعترف بذلك المأمون العباسي كما جاء فيما رواه علماء التاريخ من أهل الشيعة والسنة، إنَّ المأمون لما أراد أن يزوج ابنته أم الفضل أبا جعفر الجواد بلغ ذلك العباسيين فشقَّ عليهم، واستنكروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا (عليه السلام) فخاضوا في ذلك.

ثم اجتمع معه أهل بيته الأدنون فقالوا له: نشدك الله يا أمير المؤمنين إلا ما رجعت عن هذه النية من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف ان يُخرج به أمرٌ قد ملكاه الله ويُنزَع منا عزاً قد ألبسناه الله، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد تكأ في وهلة "أي فزعة" من عملك مع الرضا وكفانا الله المهم من ذلك فالله الله ان تردنا إلى غمٍ قد انحسر عنا، وأصرف رأيك عن ابن الرضا، وأعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك.

فقال لهم المأمون: أمّا ما كان بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكانوا أولى منكم، وأمّا ما كان يفعله من كان قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضا (عليه السلام) ولقد سألته ان يقوم بالأمر وانزعه من نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وأما أبو جعفر فقد اخترته لتبريزه "أي تفوقه" على أهل الفضل كافة في العلم والفضل، مع صغر سنه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا ان الرأي ما رأيت فيه، فقالوا: ان هذا الفتى وان راقك منه هدية إلا انه صبي لا معرفة له ولا فقه، فأمله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك، فقال لهم: ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم، وان أهل هذا البيت علمهم من الله، ومواده وإلهامه، لم تزل أبأوه أغنياء في علم الدين، والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئت فامتحنوه بما يتبين لكم به ما وصفت من حاله، قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فخلّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيءٍ من فقه الشريعة، فان أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه، وان عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه، فقال لهم المأمون شأنكم وذلك متى أردتم.

مسألة يحيى بن أكثم للإمام الجواد (عليه السلام)

نفرجوا من عنده، وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم وهو يومئذ قاضي الزمان، على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموالٍ نفيسة على ذلك.

وعادوا إلى المأمون وسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك، فاجتمعوا في اليوم الذي إتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم وأمر المأمون بأن يُفرش لأبي جعفر فراشاً حسناً وان يجعل له مسورتان، (أي وسادتان)، ففعل له ذلك.

وخرج أبو جعفر فجلس بين المسورتين، وجلس القاضي مقابله، وجلس الناس من خواص الدولة وأعيانها وحجّابها وقوادها في مراتبهم وعلى قدر طبقاتهم ومنازلهم، والمأمون جالس إلى جنب أبي جعفر (عليه السلام) فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أياذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟ فقال أبو جعفر: سل إن شئت.

قال يحيى: ما تقول - جعلت فداك - في محرمٍ قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر: قتله في حلٍ أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، قتله عمداً أم خطأ، حراً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، من ذوات الطير كان أم من غيرها، من صغار الصيد أم من كبارها، مصراً على ما فعل أم نادماً، في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان

محرمًا؟

فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف أهل المجلس عجزه، فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته فقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تتكرونها؟ وقال المأمون لأبي جعفر (عليه السلام) إن رأيت جعلت فداك ان تذكر الفقه الذي فصلته من وجوه قتل المحرم للصيد لنعلمه ونستفيده؟ فقال أبو جعفر نعم، "ثم بين لهم تلك الوجوه بأجمعها" وما يترتب عليها من الأحكام في الشريعة الغراء، فراجع المصادر.

وقال المأمون بعد ما سمع ومن معه الجواب الحاسم: أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك، وأمر المأمون أن يكتب ذلك عنه.

ثم قال: فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟ فقال أبو جعفر ليحيى: أسألك؟

قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه والآن استفتدت منك، فقال أبو جعفر: أخبرني عن رجل نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل العشاء الآخرة حلت له، فلما كان وقت انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له.

ما حال هذه المرأة؟ وبماذا حلت له وحرمت عليه؟ فقال يحيى والله لا اهتدي إلى جواب هذا السؤال، ولا أعرف الوجه فيه، فأنت رأيت أن تفيدنا به.

فقال أبو جعفر هذه امرأة أمة لرجل من الناس نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاهم فحلت له، فلما كان عند الظهر اعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كفر عن الظهار فحلت له، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلت له. فعند ذلك أقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم من يجب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟ قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم فيما رأى، فقال: ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من دون الخلق بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال.

أما علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو ابن عشر سنين، وقبل منه الإسلام وحكم له به، ولم يدع أحداً في سنه غيره، وبيع الحسن والحسين (عليهما السلام) وهما أبناء دون الست سنين، ولم يبيع صبي غيرهما، أو لا تعلمون ما اختص الله به هؤلاء القوم وانهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم، فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين (٣٨).

وما انفض ذلك المجلس حتى عقد له (عليه السلام) على ابنته أم الفضل، ووزع المأمون على الحاضرين الجوائز وأنواع الهدايا والطيب، ووضعت الموائد فأكل كل الناس وانصرفوا.

قيام الإمام علي الهادي (عليه السلام) بالإمامة وهو ابن ست سنين

ومما يؤكد لنا تأكيداً بعد تأكيد هو أن الإمام علياً الهادي (عليه السلام) قام بأمر الإمامة وله من العمر ست سنين وخمسة أشهر، وماذا يُحسن من كان علمه بالكسب والتعليم من الآخرين في حين كان (عليه السلام) - عند قيامه - مقام أبيه من بعده - أعلم أهل زمانه على الإطلاق، وأعترف بذلك الخاصة والعامة.

قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة): وكان وارث أبيه علماً ومنحاً، ونقله عن (الصواعق) الشبلنجي الشافعي في (نور الأبصار) (٣٩). وثبت هذا حينما رجع الناس إليه من الراعي والرعية، والصديق والعدو، واختبروه بأنواع الاختبارات وسألوه عن مختلف العلوم والمعارف وإذا علمه (عليه السلام) - وهو ابن ست سنين وأشهر - كعلم سميّه علي أمير المؤمنين باب مدينة علم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وقام بالإمامة بعده ابنه الحسن العسكري، وأخيراً قبض الحسن (عليه السلام) مسموماً وعمره يومئذ ثمان أو تسع وعشرين



سنة، والإمام بعده ابنه الحجة المهدي (عج) وعمره يومئذ خمس سنين، وآتاه الله ما آتى آباءه الطاهرين من العلم والفضل العميم.  
قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة) بعد ذكره لأبيه الحسن العسكري، ووفاته بالسّم بما نصّه قال:  
ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين ولكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر... الخ (٤٠).

وقال الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) عند ذكر الإمام المهدي (عليه السلام) نقلاً عن كتاب (فصل الخطاب) للشيخ خواجه محمد يا رسا قال: وقالوا: آتاه الله تبارك وتعالى الحكمة وفصل الخطاب في طفولته وجعله آية للعالمين، كما قال تعالى: (يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (مريم/١٣)، وقوله تعالى: (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا) (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (مريم/٣٠-٣١) ... الخ (٤١).

وذكر هذا المعنى ابن الصبّاح المالكي في كتابه (الفصول المهمة) في الفصل الثاني عشر (٤٢)، نعم هكذا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهُا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آل عمران/٣٤-٣٥).

الطريق الثاني من ينابيع علم الأئمة

عرض صحائف الأعمال عليهم (عليهم السلام)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ)

ومن تلك النصوص الحديث النبوي الذي يذكر سبب نزول الآية، وينقله المجلسي في (البحار) عن كتاب (محاسبة النفس)، للسيد الجليل علي بن طاووس نقلاً عن محمد بن العباس باسناده عن طريق الجمهور عن أبي سعيد الخدري انه قال: ان عماراً قال: يا رسول الله وددت انك عمّرت فينا عمر نوح (عليه السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا عمار حياتي خير لكم، ووفاتي ليست بشر لكم، أما حياتي فتحدثون واستغفر الله لكم، وأما بعد وفاتي فاتقوا الله واحسنوا الصلاة علي وعلى أهل بيتي فانكم تعرضون علي بأسمائكم وأسماء آبائكم وقبائلكم فان يكن خيراً حمدت الله، وان يكن سوى ذلك استغفر الله لكم" أو قال: استغفر الله لذنوبكم" فقال المنافقون والشكك والذين في قلوبهم مرض: يزعم ان الأعمال تعرض عليه بعد وفاته بأسماء الرجال وأسماء آبائهم وأنسابهم إلى قبائلهم، وإن هذا هو الأفك، فأنزل الله جلّ جلاله) (وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) فقيل له: يا رسول الله ومن المؤمنون؟ فقال: عامة وخاصة، أما الذين قال الله في الآية: (وَالْمُؤْمِنُونَ) فهم آل محمد منهم عليهم السلام، ثم قال: (وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) من طاعة ومعصية (٥٠).

الأوقات التي تعرض فيها صحائف الأعمال

هذا حديث واحد من عشرات الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته في هذا الموضوع، وتدل تلك الأحاديث - بمجموعها - على أنّ صحائف الأعمال تعرض عليهم في أوقات متعددة، ففي بعضها إنها تعرض عليهم كل يوم صباحاً (٥١).

وفي بعضها كل يوم ليلة وصباحاً ومساءً (٥٢).

وفي بعضها كل خميس (٥٣).

وفي بعضها كل اثنين وخميس (٥٤) أي في الأسبوع مرتين، وفي بعضها عند انتهاء أجل الإنسان (٥٥).

وفي بعضها لا تعين رقماً لعرضها عليهم (٥٦).

والذي يستفاد من مجموعها انها تعرض عليهم في كلّ هذه الأوقات.

وعلى كلّ المراد من المؤمنين في الآية، إنما هم الأئمة من آل محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة لا عامة المؤمنين، نعم المؤمنون الصالحون

المتبعون لله ولرسوله وللأئمة يسألون الله ويطلبون منه ان يجعلهم مع الشهداء من الأئمة الأطهار في الجنة كما أشار إلى هذا القرآن الكريم بقوله تعالى: ( رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ) (آل عمران/٥٤) .

وقد استجاب الله لهم دعاءهم كما في قوله تعالى: ( وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ) (النساء/٧٠) (٥٧) .

فنسأل الله تعالى أن يرحمنا بمحمد وآله صلوات الله عليهم ويرزقنا شفاعتهم ويجعلنا من المهتدين بهداهم انه سميع مجيب. ولكن لا ادري إذا عرضت عليهم صحائف أعمالنا ماذا يرون فيها؟ هل يرونها مملأة بالحسنات من العقائد الحقة، والأخلاق الفاضلة، والعبادات الصحيحة، والمعاملات السليمة، أم بالعكس، يرونها سوداء بأنواع المعاصي والسيئات من الكفر، والنفاق، والأخلاق السيئة من الاعتداء والظلم وقول الزور وعبادة النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، والطواغيت... الخ.

وقطعاً ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) إذا رأوا صحائف أعمالنا وفيها الحسنات والأعمال الصالحة والكلام الطيب فإنهم يسرون بذلك، أما إذا رأوها بالعكس فيها أنواع السيئات والمعاصي فانهم يستأوون بذلك، ومن هنا ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لجماعة من أصحابه: ما لكم تسوون رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟! فقال له رجل منهم: جعلت فداك فكيف نسوؤه؟ فقال: أما تعلمون ان أعمالكم تُعرض عليه؟ فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسووا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسروه (٥٨) .

وإذا كان الأمر كذلك، وهو كذلك فإذن يلزم على العاقل المؤمن أن يندم ويتوب إلى الله ويستغفره من جميع ذنوبه ومعاصيه دائماً وأبداً فإن الله يتوب عليه ويغفر له، ويرزقه خير الدنيا والآخرة قال تعالى: ( اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ) (نوح/١١-١٣) ، وورد في الحديث: طوبى لمن وجد في صحيفته تحت كل ذنب استغفار، وورد أيضاً ان التائب من الذنب كمن لا ذنب عليه.

تبديل سيئات التائب حسنات

والتائب الحقيقي بتوبة صادقة عن ندم على ما مضى، وعزم على ترك العود إلى ما تاب عنه، يستحق ان يبذل الله سيئاته حسنات كما قال تعالى: (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ) (الفرقان/٧١) .

أما إذا بقي الإنسان مصراً على معاصيه وسيئاته لم يندم ولم يتب حتى ينزل به الموت فانه يكون حينئذ رهين تلك المعاصي والسيئات، وينبئه بها عالم الغيب والشهادة يوم رجوعه إليه عند قبض روحه، وعند الحساب يوم القيامة، كما نصت الآية المبحوث عنها بقوله: ( وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ) ولا يسع الإنسان يومئذ إنكار أعماله السيئة ووجودها لأنه يراها بحقيقتها كلها وجزئياً ثابتة عليه منكشفة له قال تعالى: ( لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ) (ق/٢٣) .

الشهود على الإنسان عند الحساب

هذا من جهة، ومن جهة أخرى انه يشهد عليه - بعد الله تعالى - نبيه وأهل بيته المعصومون (عليهم السلام) بما اقترف من تلك السيئات. كما علمنا فيما مضى.

من الشهود على الإنسان القرآن الكريم

ومن جهة ثالثة يشهد عليه القرآن الكريم الذي هو الخليفة الأول على الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد صرح النبي بذلك في آخر خطبة خطبها على الأنصار حينما حضرته الوفاة وقد أحضرهم عنده في بيته نذكر منها محل الشاهد قال (صلى الله عليه وآله):

كُتِبَ اللَّهُ وَأَهْلُ بَيْتِي الْعَمَلُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَقْرُونٌ بِالْآخِرِ إِنِّي أَرَىٰ أَنْ لَا اقْتِرَاقَ بَيْنَهُمَا جَمِيعًا، لَوْ قِيسَ بَيْنَهُمَا بِشَعْرَةٍ مَا انْقَاسَتْ (٥٩) .

من أتى بواحدة وترك الأخرى كان جاحداً للأولى ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، "أي لا يقبل الله منه عملاً لا مستحجاً ولا واجباً"، ثم قال: فإن الكتاب هو القرآن، وفيه الحجة والنور والبرهان كلام الله جديد غضُّ طري، شاهد عادل محكم، ولنا قائد بجلال الله وحرابه وأحكامه.

يقوم غداً فيحاج أقواماً فينزل الله به أقدامهم عن الصراط، واحفظوني معاشر الأنصار في أهل بيتي فإن اللطيف الخبير أخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (٦٠).

ومن جهة رابعة يشهد عليه الملكان اللذان يسجلان عليه أعماله، وإلى هذا يشير قوله تعالى: (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ) (ق/٢٢)، أي تجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق يسوقها، أي يحثها على السير إلى الحساب، وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها، وبما شاهده منها، وكتبه عليها، فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلاً.

ومن جهة خامسة تشهد عليه أيضاً جوارحه كلها بما اقترف بها من السيئات قال تعالى في سورة يس: (اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (يس/٦٦)، أي تشهد عليه كل من الأيدي والأرجل بما اكتسب بواسطتهما من المعاصي الخاصة بهما.

أعضاء الإنسان كلها تشهد عليه

ويظهر من مجموع الآيات التي تستعرض هذا الموضوع ان ذكر الأيدي والرجل فقط دون بقية الأعضاء من باب الأتموذج، والآ فالأعضاء كلها تشهد عليه قال تعالى في سورة الإسراء: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً) (الإسراء/٣٧).

ومعنى الآية: لا تتبع ما ليس لك به علم في مجموع تصرفاتك واتجاهاتك عقيدة وعملاً، لأن الله سيسأل السمع والبصر والفؤاد، وهو النفس الإنسانية، عما اعتقدت به من العقائد وقامت به من الأعمال ويسأل السمع هل كان ما سمعه معلوماً مقطوعاً به أنه حق أم لا؟ ويسأل البصر هل كان حقاً بيناً أم لا؟ ويسأل الفؤاد هل كان ما اعتقده وقرَّره حقاً لا شك فيه أم لا؟ وهي بدورها لا محالة ستجيب بالحق وتشهد على ما هو الواقع، فإذا شهدت بما أعتقد وعمل من باطل وجهل يكون ماله حينئذٍ انخسار والعياذ بالله ولا يقبل منه عذر أبداً.

وقال تعالى في سورة النور: (يَوْمَ نَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَسِنَّتُهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النور/٢٥)، وقال تعالى في سورة فصلت السجدة: (يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِمَ لُجُودِهِمْ لَمْ نَشْهَدْكُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا جُلُودُهُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (فصلت/٢٠-٢٤)، وقال إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض خطبه يصف فيها هول يوم القيامة: "ختم على الأفواه فلا تكلم، وقد تكلمت الأيدي وشهدت الأرجل ونطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثاً" (٦١).

فعلينا يا عباد الله أن نتوب إلى الله توبةً نصوحاً، ونسأله أن يهب لنا ما اقترناه من الذنوب، وما خالفنا به من الحق وتتضرع إليه بما جاء في دعاء كميل بن زياد ونقول:

"إلهي وسيدي فأسألك بالقدرة التي قدرتها وبالقضية التي حتمتها وحكمتها وغلبت من عليه أجريتها أن تهب لي في هذه الليلة وفي هذه الساعة كل جرمٍ أجرمته وكل ذنبٍ أذنبته وكل قبيحٍ أسررته وكل جهلٍ عملته كتمته أو أعلنته أخفيته أو أظهرته، وكل سيئةٍ أمرت بأثباتها الكرام الكاتبين الذين وكتهم بحفظ ما يكون مني وجعلتهم شهوداً عليّ مع جوارحي وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم والشاهد

لما خفي عنهم وبرحمتك أخفيته وبفضلك سترته ... الخ".

نعم المؤمن بالمعاد يوم القيامة والحساب والثواب والعقاب، والذي إذا اقترف ما اقترف من الذنوب يستغفر الله ويتوب إليه منها فإن الله يستر عليه ذنوبه ويخفيها حتى على ملكيه، ويؤيد ذلك ما رواه المحدثون ومنهم شيخنا الكليني في الكافي بسنده عن معاوية بن وهب أنه قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقل ومن ذلك ما اشتهر من تسبيح الحصى في كف رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحنين الجذع الذي كان يخطب مستنداً إليه، فلما اتخذ منبراً وتحول عن الجذع حن الجذع لفرقة له، وسُمِعَ حنينه، فأخذ النبي وضمه إليه فسكن حنينه، وجاء إليه رجل وقال له: هل عندك من برهان نعرف به أنك رسول الله؟ فدعا بتسع حصيات فسبحن في يده فسمع نغمات التسبيح من جوفها (٦٩). وسأل الشيخ أحمد بن المبارك شيخه الشيخ عبد العزيز الدبّاع عن تسبيح الحصى ونحوه، فقال: إنّ ذلك كلامها وتسبيحها دائماً، وإنما سأل النبي (صلى الله عليه وآله) ربّه ان يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك (٧٠). وقال شاعر أهل البيت السيد مهدي الأعرابي في مدح النبي وبعض معجزاته:

خير البرية من رقى السبع العلي \*\*\* فوق البراق فحلّ اشرف موضع  
من كلمته الجمادات كرامة \*\*\* والجذع حن له حنين المرضع  
أوما إلى القمر المنير فشقه \*\*\* نصفين في أفق السماء الرفع  
لولاه ما خلق الوجود ولم تكن \*\*\* شمس ولا قمر يرى في مطلع  
لولاه لم يغفر لآدم ذنبه \*\*\* كلا ولا قد قيل: يا أرض أبلعي  
هو خير مبعوث من المولى أتى \*\*\* للناس بالدين الخفيف الأنصح  
إظهار تسبيح الجبال والطير مع داود (عليه السلام)

ومن هذا القبيل ما جعله الله لنبيه داود (عليه السلام) وذكره الله سبحانه في عدة آيات منها قوله تعالى: (وَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء/٨٠).

والمعنى كما يقول بعض المفسرين: ان الجبال والطير لهما تسبيح في نفسهما، وتسخيرهما أن يسبحن مع داود بموافقة تسبيحه، لذا قال تعالى: (وَخَرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ) (أي معه حين يسبح، و) الطير (معطوف على الجبال، وقرع تسبيحها وتسبيح داود أسمع الناس معجزة له.

وهكذا قال تعالى في آية أخرى: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) (سورة ص/١٩)، والعشي آخر النهار والإشراق أوله وهو إشراق الشمس، والمعنى ان الله جلّ وعلا جعل تسبيح الجبال في موافقة ومواظاة تسبيحه، وإسماع الناس تسبيحها معاً في الوقتين. وهكذا قال تعالى في آية ثالثة: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضلاً يَا جِبَالَ أُوبٍ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارَ لُحْدِيدَ) (سبأ/١١)، والمعنى ان الله أعطى داود فضلاً منه بأن جعل الجبال تؤوب "أي ترجع وتردد" معه الصوت بالتسبيح.

قال ابن كثير الدمشقي في تفسيره: وما أعطاه ومنحه "أي الله لداود" من الصوت العظيم الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشامحات، وتقف له الطيور السارحات والغايات والرائحات وتجاوبه بأنواع اللغات (٧١).

عدم تساوي آثار الإدراك والشعور في المخلوقات

الجهة الثالثة هي ان الإدراك والشعور لم يكونا على سنخ واحد حتى تتشابه آثارهما المترشحة منهما وتكون متساوية، بل هما مختلفان باختلاف أربابهما، ولذلك تكون آثارهما مختلفة بحسب خلقة ذوي الشعور والإدراك، كما يقرر ذلك بعض الحكماء مثل الشيرازي حيث يقول في كتابه (الأسفار) في علم الحكمة:

إنّ هذا الوجود كلّ حي، ولا معنى للوجود بغير حياة، وان الحياة على مقدار اشراق أنوار الوجود الأعلى على المخلوق فلإنسان وللحيوان وللنبات حياة، أي هناك نوعاً من الشعور، وهكذا الجماد له من الشعور أقل، لأنه أفيض عليه من الحي (٧٢).

وعلى كلّ للنبات وسائر الأنواع الطبيعية المعبر عنها بالجماد آثار عجيبة متقنة ومشهودة في عالمنا هذا مناسبةً لخلقها، مثلاً نرى النبات ينمو في الجبال الصخرية، في حين لا يمكن للنبات ان يخترق الصخور، فالله سبحانه يجعل له من الإدراك والشعور في أن يسير إلى جهات لا تحجبه الصخور من النمو، وإذا علا نبات وكان، فوفاه حاجب يحجبه من الصعود فهو - قبل أن يصطدم بذلك الحاجب - يشعر أنّ هناك حاجباً سوف يحجبه عن الصعود فيميل عنه قبل اصطدامه به، وأمثال ذلك ما يشاهد في عالم النبات كثير.

وأما الجماد فلا تقصر آثاره عن ذلك ممّا نشاهد في السماء والأرض، والجبال من حدوث حمرة، أو زلزال، أو اضطراب واهتزاز وبركان وعواصف وكل ذلك لا يكون إلا بإذن الله لها، فتحركها وتغيّر بها أمر الله الذي له ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير، والإنسان يشاهد ويرى تلك الآيات الإلهية في العالمين العلوي والسفلي ولا يعتبر بما يرى، قال تعالى: (وَكَايِّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ) (يوسف/١٠٦).

تأثر الكائنات وتغيّرها في بعض الحوادث

ومما يدلنا دلالة واضحة على إدراك وشعور سائر الكائنات هو ما يحدث فيها من تأثر وتغيّر واضح بسبب وقوع بعض الحوادث المهمة وهي كثيرة ومنها.

الآثار الكونية عند ولادة النبي (صلى الله عليه وآله)

ما حدث من الآثار العجيبة عند ولادة النبي (صلى الله عليه وآله) في الآفاق وفي الجمادات ممّا تواتر واشتهر في التاريخ، وورد عن بعض أئمة الهدى (عليهم السلام) ونكتفي بذكر حديثين واحد عما جاء عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: ان محمداً (صلى الله عليه وآله) لما سقط من بطن أمه سقط واضعاً يده اليسرى على الأرض، رافعاً يده اليمنى إلى السماء، ويحرك شفثيه بالتوحيد، وبدا من فيه نور رأى أهل مكة منه قصور بصرى من الشام وما يليها، والقصور الحمر من أرض اليمن وما يليها، والقصور البيض من اصطخر وما يليها (٧٣).

ولقد أضاءت الدنيا ليلة ولد النبي (صلى الله عليه وآله) حتى فزعت الجن والإنس والشياطين وقالوا: لقد حدث في الأرض حدث، ولقد رأت "الشياطين" الملائكة ليلة ولد تصعد وتنزل وتسبح وتقدس وتضطرب النجوم وتتساقط علامات ميلاده (صلى الله عليه وآله) ، ولقد هم إبليس بالضعن إلى السماء لما رأى من الأعاجيب في تلك الليلة، وكان له مقعد في السماء الثالثة، والشياطين يسترقون السمع، فلما رأوا الأعاجيب أرادوا أن يسترقوا السمع فأذاهم قد حجبا من السموات كلّها، ورموا بالشهب دلالة لنبوته (صلى الله عليه وآله) (٧٤).

والحديث الثاني جاء مسنداً عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال: كان إبليس لعنه الله يخترق السموات السبع، فلما ولد عيسى (عليه السلام) حُجِبَ عن ثلاث سموات، وكان يخترق أربع سموات، فلما ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حُجِبَ عن السبع كلّها، ورميت الشياطين بالنجوم، وقالت قریش: هذا قيام الساعة الذي تكلمنا به، وقال عمرو بن أمية - وكان من أزجر أهل الجاهلية - أي أكثرهم معرفةً بالكهانة والقيافة، قال: انظروا هذه النجوم التي يهتدى بها، ويعرف بها أزمان الشتاء والصيف، فإن كان رمي بها فهو هلاك كل شيء وإن كانت ثبتت ورمي بغيرها فهو أمر قد حدث، وأصبحت الأصنام كلّها - صبيحة ولد النبي (صلى الله عليه وآله) - وليس منها صنم إلا وهو منكب على وجهه، وارتجس (٧٥) - في تلك الليلة - إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وغاضت بحيرة ساوة، أي غار ماؤها وذهب، وفاض وادي السماوة، وهي فلاة بالبادية تتصل بالشام، فاض الماء فيها ونحمت نيران فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، ورأى الموبدان - وهو فقيه الفرس وحاكم الجوس - في تلك الليلة في المنام - إبلاً صعباً تقود خيلاً عرباً "أي خيلاً كرائمًا سالمة" قد قطعت دجلة وانسربت في بلادهم "أي دخلت في

بلادهم" وأنقضم طاق كسرى من وسطه، وانخرقت عليه دجلة العوراء، "أي ان كسرى كان قد بنى على دجلة بناء (سداً) وطمّ بعضها فانخرق ذلك البناء (أي السد) ودخلت دجلة عليه"، وانتشر في تلك الليلة نور من قبل الحجاز ثم استطار حتى بلغ المشرق، ولم يبق سريراً ملك من ملوك الدنيا إلا وأصبح منكوساً، والملك مخرساً لا يتكلم يومه ذلك، وانتزع علم الكهنة، وبطل سحر السحرة، ولم تبق كاهنة في العرب إلا حجبت عن صاحبها، وعظمت قريش وسموا آل الله عزّ وجلّ، قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): إنما سموا آل الله لأنهم في بيت الله الحرام.

وقالت آمنة: إنّ ابني والله سقط فألقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نوراً أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسميه محمداً، وأتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمه آمنة، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال:

الحمد لله الذي أعطاني\*\*\* هذا الغلام الطيب الأردان (٧٦)

قد ساد في الهدى على الغلمان

ثم عوّذ بأركان الكعبة، وقال فيه أشعاراً، قال الإمام (عليه السلام): وصاح إبليس لعنه الله في أبالسته، فاجتمعوا إليه، فقالوا: ما الذي أفزعك يا سيدنا؟ قال: ويلكم لقد أنكرت السماء والأرض منذ الليلة، لقد حدث في الأرض حدث عظيم ما حدث مثله منذ رفع عيسى بن مريم (عليه السلام) فانخرجوا وانظروا ما هذا الحدث، فافترقوا ثم اجتمعوا إليه فقالوا: ما وجدنا شيئاً، فقال إبليس: أنا لهذا الأمر ثم انغمس في الدنيا فجعلها حتى انتهى إلى الحرم فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة، فذهب ليدخل فصاحوا به فرجع، ثم صار مثل الصر وهو العصفور فدخل من قبل حراء، فقال له جبرئيل: وراءك لعنك الله، فقال له: حرف أسألك عنه يا جبرئيل، ما هذا الحدث الذي حدث منذ الليلة في الأرض؟ فقال له ولد محمد (صلى الله عليه وآله) فقال إبليس: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، قال: فقي أمته؟ قال: نعم، قال: رضيت (٧٧).

حادثة الطف المفجعة، وآثارها في الكون

ومن الحوادث المهمة التي ظهرت فيها التأثيرات الكونية حادثة الطف المفجعة التي قتل فيها الحسين ومن معه من أهل بيته وأصحابه، وسبيت عياله وأطفاله.

حيث انقلب العالم بأسره انقلاباً هائلاً، وتأثراً ملحوظاً في العالمين العلوي والسفلي، فبكته السماء والأرض بكاءً ما بكته على أحد قبله ولا بعده من نبي أو وصي (٧٨).

بل أبكت مصيبتته جميع أنواع المخلوقات من ملك وفلك، وجمادٍ ونبات وسائر الحيوان من أنسٍ وجان، وأثرت فيها أثراً محسوساً مشاهداً لدى أهل ذلك الزمان، وخلد لنا التاريخ ذكر الأثر العظيم، وتسالم عليه الفريقان من الخاصة والعامة تكسوف القمر وكسوف الشمس (أي غياب نورهما على غير مجاري العادة الطبيعية) بحيث رؤيت النجوم نهاراً، وكمطر السماء دماً وتراباً أحمر بحيث بقي أثره في الثياب حتى تقطعت، وكتساقط الكواكب وظهور الحمرة في السماء واسودادها، وكتفجر الأرض دماً عبيطاً بحيث ما رفع حجر منها إلا وخرج تحته دم عبيطاً، وسيلان حيطانها دماً، ونبوع الدم من الشجر، وكنوح الجن وبكائها الذي سمعته أم سلمة وغيرها، إلى غير ذلك من انقلاب الروس - وهو نبات كالسمسم يصبغ به - رماداً واللحم علقماً، وهذا كله قد اتفق الفريقان على وقوعه (٧٩).

ونظمه الأدباء في تايينهم لسيد الشهداء فقال الشيخ صالح التيمي:

وقل بقتيل قد بكته السماء دماً\*\*\* عبيطاً فما قدر الدموع السواجم

وناحت عليه الجن حتى بدا لها\*\*\* حنين تحاكيه رعود الغمام

وقال الشيخ صالح العرندي:

إمام بكته الإنس والجن والسما\*\*\* ووحش الفلا والطير والبر والبحر

وهذا بعض ما شوهده - يومئذ للناس - وما خفي عليهم أعظم مما أوحاه الله العليم الخبير إلى رسوله الصادق الأمين وأخبر به (صلى الله عليه وآله) أهل بيته وغيرهم، ومن ذلك ما جاء في ال

وروى الصفار أيضاً في (بصائر الدرجات) بسنده عن داود بن فرقد قال: سألته - أي الإمام الصادق (عليه السلام) - عن قول الله عز وجل: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ قال: نزل فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من موت أو مولود، قلت له: إلى من؟ فقال: إلى من عسى أن يكون؟ إن الناس في تلك الليلة في صلاة ودعاء ومسألة، وصاحب هذا الأمر في شغل تنزل الملائكة إليه بأمور السنة من غروب الشمس إلى طلوعها، من كل أمر سلام هي إلى أن يطلع الفجر (٩٤).

وروى الشيخ الطوسي في (أماليه)، والمفيد في (مجالسه)، وأبو جعفر الطبري الإمامي في (بشارة المصطفى) وعلي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة)، والشيخ حسن بن سليمان في (المختصر) وغيرهم بأسانيدهم عن الأصبع بن نباتة قال: دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نفر من الشيعة، وكنت فيهم فجعل - الحارث - يتتد، أي يتثبت ويتأني، في مشيته، ويخبط الأرض بمجنته، أي يضرب الأرض بعصاه، وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت له منزلة منه، فقال له: كيف تجددك يا حارث؟ قال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين، وزادني أواراً وغليلاً، أي حرارة في الحزن، اختصام أصحابك بيابك، قال: وفيهم خصومتهم؟ قال: في شأنك والبلية من قبلك فن مفرط غال، ومقتصد قال، أي مبغض لعدوك، ومن متردد مراتب لا يدري أيقدم أو يحجم، قال:

ففسبك يا أخاهمدان ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط (٩٥).

إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي، قال: لو كشفت - فذاك أبي وأمي - الرين عن قلوبنا - أي الشك من نفوسنا - وجعلتنا في ذلك على بصيرة من امرنا، قال: فذاك، فأنك أمرؤ ملبوس عليك، فان دين الله لا يعرف بالرجال بل بآية الحق، فأعرف الحق تعرف أهله، يا حارث ان الحق أحسن الحديث، والصادق به مجاهد، أي المتكلم به جهاراً مجاهد، وبالحق أخبرك فارعني سمعك، أي أصغ لمقالي، ثم خبر به من كانت له حصافة من أصحابك، وفي نص: من كانت له حصانة (٩٦).

ألا أني عبد الله، وأخو رسوله، وصديقه الأول، قد صدقته وآدم بين الروح والجسد، ثم أني صديقه الأول في أمتكم حقاً، فنحن الآخرون، ألا وأنا خاصته.

يا حارث وخالصته، وصنوه ووصيه، ووليه وصاحب نجواه وسره، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستودعت ألف مفتاح يفتح كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد، وأيدت - أو قال: أمددت - بليلة القدر نفلاً - أي زيادة على ما أعطيت من الفضائل والكرائم، وان ذلك ليجري لي ومن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل والنهار حتى يرث الله الأرض ومن عليها ... الخ (٩٧).

وروى الصفار في (بصائر الدرجات) بسنده عن محمد بن عمران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ان الناس يقولون: ان ليلة النصف من شعبان تكتب فيها الآجال، وتقسم فيها الأرزاق، وتخرج صكك الحاج، فقال: ما عندنا في هذا شيء، ولكن إذا كانت ليلة تسع عشر من شهر رمضان تكتب فيها الآجال، وتقسم فيها الأرزاق، وتخرج صكك الحاج، ويطلع الله على خلقه - أي ينظر إليهم ويشاهد حالهم - فلا يبقى مؤمن إلا غفر له إلا شارب الخمر.

فإذا كانت ليلة ثلاث وعشرين (فيها يفرق كل أمر حكيم) أمضاه ثم أنهاه، قال الراوي: قلت: إلى من جعلت فداك؟ فقال: إلى صاحبكم وعني بذلك نفسه (عليه السلام)، ولولا ذلك لم يعلم ما يكون في تلك السنة (٩٨).

وقوله (عليه السلام) ولولا ذلك لم يعلم ... الخ، يشير بذلك إلى ان العلم بالأقدار الآتية إنما يعلمها أي الإمام من هذا الطريق المستند إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخيراً إلى الله عز وجل، ولولاه لم يعلم.

ومن هنا نعلم انه لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل أو من يُعلمه الله، قال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا) (٢٦) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا) (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ آتَيْنَاهُم رِسَالَاتٍ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (الجن/٢٧-٢٩).

وروى الصفار أيضاً في (بصائر الدرجات) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) انه قال:

قال علي (عليه السلام) في صبح أول ليلة القدر التي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله): فاسألوني فوالله لأخبرنكم بما يكون إلى ثلثمائة وستين يوماً من الذر فما دونه وما فوقه، ثم لا أخبركم بشيء من ذلك بتكلف، ولا برأي، ولا بادعاء في علم إلا من علم الله وتعليمه، والله لا يسألني أهل التوراة، ولا أهل الإنجيل، ولا أهل الزبور إلا فرقت بين أهل كل كتاب بحكم ما في كتابهم ... الخ (٩٩).

وهذا الحديث يؤيد ما قلناه من ان علم الإمام إنما هو بتعليم من الله عز وجل.

وروى الكليني في (الكافي) عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) انه قال في وصيته لشيعته: يا معشر الشيعة خاصموا بسورة) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (تفلحوا، فوالله إنها لحجة الله تبارك وتعالى على الخلق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإنها لسيدة دينكم، وإنها لغاية علمنا.

يا معشر الشيعة خاصموا ب) حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (فإنها لولاة الأمر خاصة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يا معشر الشيعة يقول الله تبارك وتعالى) وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (فاطر/٢٥)، قيل: يا أبا جعفر نذيرها محمد (صلى الله عليه وآله) قال: صدقت، فهل كان نذيراً وهو حي من البعثة في أقطار الأرض؟ فقال السائل: لا، قال أبو جعفر (عليه السلام): أرأيت بعثته - أي الذي يبعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى قوم - أليس نذيره كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعثته من الله عز وجل نذيره؟ فقال السائل: بلى، قال: فكذلك لم يمت محمد (صلى الله عليه وآله) إلا وله بعث نذير، ثم قال الإمام (عليه السلام): فان قلت لا، فقد ضيع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من في أصلاب الرجال من أمته ... الخ (١٠٠).

كشفت الأحاديث عن حقائق ثابتة عند الجميع

تكشفت لنا هذه الأحاديث الشريفة - وهي اثني عشر حديثاً - عن حقائق عديدة وثابتة عند الجميع منها:

١- استمرار ليلة القدر في كل سنة

أولاً ان ليلة القدر مستمرة - في الأجيال كلها - إلى يوم القيامة وهذا ما دل عليه النص القرآني وهو قوله تعالى: (تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا) وقوله: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) فقوله (تَنْزِيلٌ) وقوله (يُفْرَقُ) بصيغة المضارع يدل على الاستمرار لا على الماضي فقط، كما أن استمرارها جاء في أحاديث صريحة عن النبي (صلى الله عليه وآله) الصادق الأمين، وأهل بيته الأطهار وأصحابه الكرام، والتابعين لهم من طرق عديدة، ويقول جمهور المسلمين: أنها باقية في كل سنة، ويحتفلون بها كل عام كما هو معلوم، ويصرح به علماءهم، وتنص عليه أحاديثهم (١٠١).

٢- فيها تنزل الملائكة على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الاثني عشر

ثانياً ان كل ليلة قدر تنزل الملائكة والروح فيها) على النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار الاثني عشر بعده واحداً بعد واحد، أيام حياتهم وبعد مماتهم وآخرهم مهدي آل محمد (صلى الله عليه وآله) الموجود في الجماعة الإسلامية وبينها وان كان غائباً عن الأبصار، وأنهم هم ولادة الأمر الذين عناهم الله تعالى بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِئُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ) (النساء/٦٠)، حيث قرن جل وعلا إطاعتهم بإطاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) كما قرن الزكاة بالصلاة، ومعنى هذا الاقتران ان منزلتهم - عند الله عز وجل - كمنزلة الرسول في العصمة ووجوب الإطاعة إلا أنهم ليسوا أنبياء بعده كما هو معلوم من قول الله عز وجل: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ



أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (الأحزاب/٤١)، ومن قول النبي (صلى الله عليه و آله): {علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي} (١٠٢).

وجعل جل وعلا أيضاً إطاعتهم - المقرونة بإطاعة الرسول - في آية أولى الأمر مطلقة غير مقيدة بقيد أو شرط، وهذا يدل على عصمتهم وعظيم مقامهم عنده تعالى.

٣- الأئمة محدثون وليسوا بأنبياء

ثالثاً أن الملائكة الذين ينزلون في ليلة القدر يحدثون النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار من أهل بيته ويعلمونهم بما قدر الله المتعال لعباده في سنتهم، فهم محدثون أي تحدثهم الملائكة وليسوا بأنبياء.

وهنا قد يتساءل ويقال: وهل تحدث الملائكة غير الأنبياء؟ الجواب: نعم، إن الملائكة تحدث الأنبياء وغير الأنبياء ممن شاء من عباده كما هو صريح في نصوص القرآن المجيد، وإليك بعضهم.

المحدثون، وليسوا بأنبياء من الرجال والنساء

فهذه مريم بنت عمران (عليها السلام) كانت محدثة ولم تكن نبيه، يقول عز من قائل: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا لَهُمْ آيَاتُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمُ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (آل عمران/٤٢-٤٨).

وهذه سارة زوجة إبراهيم الخليل كانت محدثة ولم تكن نبيه يقول الله تعالى: (وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَدْ جَاءَ بِنْتٌ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ بَشْرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (هود/٧٠-٧٤).

وهذه أم موسى بن عمران وأسمها (بوخايد) على الأشهر كانت محدثة ولم تكن نبيه يقول الله سبحانه: (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِي بغيًا فإنه خارج بالدليل، فهذه الذرية المؤمنة يمكن نسبة الاصطفاء، والوراثة إليهم من باب نسبة البعض إلى الكل، ويكون هذا كقوله تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (المؤمن/٥٤-٥٥)، فبنوا إسرائيل - بنص هذه الآية - أورثوا الكتاب، ولكن المؤدون حقه، والعارفون القائلون به بعضهم، وهم الذين اصطفاهم الله من الأنبياء والأوصياء منهم لا جميعهم فكذلك هذه الآية - المبحوث عنها - إراث الكتاب فيها - وهو القرآن - وان نسب في الأخبار - إلى ذرية النبي ولكن المقصود الأئمة الاثني عشر منهم (عليهم السلام) إذ هم القائلون العارفون به، والمؤدون حقه، واصطفاهم من بين البرية على البرية.

ومن هنا نعلم ان الحق والحقيقة - في المقصود - من الاصطفاء والوراثة والسبق بالخيرات إنما هم الأئمة الطاهرون فقط دون غيرهم. الإشارة إلى محاجة الإمام الرضا (عليه السلام) حول الآية

وللإمام الرضا (عليه السلام) حول هذه الآية الكريمة - محاجة طويلة مع جماعة من علماء أهل العراق وخراسان في مجلس من مجالس المأمون العباسي، وأثبت الإمام (عليه السلام) ان الذين اصطفاهم الله وأورثهم الكتاب وسبقوا غيرهم بالخيرات إنما هم عترة النبي (صلى الله عليه وآله) أهل بيته من بعده، أثبت ذلك بالعشرات من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، مع دليل العقل والمنطق الحاسم بحيث اعترف - بعد تلك المحاجة - المأمون والعلماء جميعاً بواقعها، وقالوا للإمام: جزاكم الله أهل بيت نبيكم عن هذه الأمة

خيراً، فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلاّ عندكم (١٠٦).  
 أما قوله تعالى في الآية الكريمة: (فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) هنا يحتمل ان يكون ضمير (منهم) راجعاً إلى قوله تعالى (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا) فتكون الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد بالخيرات وشركاء في الوراثة والاصطفاء، وإن كان الوارث الحقيقي والمصطفى هو العالم بالكتاب والحافظ له، وهو السابق بالخيرات والمصطفى، وقد مرّ بيان ذلك. ويحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى قوله تعالى (مَنْ عِبَادِنَا) وهم أمّا ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) وأنّ هذه الذرية منهم الظالم لنفسه وهو الذي لم يعرف حق الإمام، ومنهم المقتصد الذي عرف حق الإمام، ومنهم السابق بالخيرات وهو الإمام نفسه. وأمّا المراد من (عِبَادِنَا) مجموع الأمة الإسلامية، وقد اختار هذا القول السيد المرتضى، وأنّ منهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات، وهم الاثني عشر كما علمنا ممّا مضى، ولا يبعد صحة هذا القول.

وقد ذكر الله تعالى هذه الأقسام في سورة الواقعة بقوله تعالى: (وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (١٢) ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (الواقعة/٨-١٥)).

وخلاصة الآية الكريمة - لمن تدبرها - ان إیراث الكتاب - وهو القرآن الكريم الذي فيه تبيان كل شيء، وما فرط الله فيه من شيء - كله بتفسيره تنزيلاً وتأويلاً وسائر معارفه وعلومه كان لمن اصطفاهم الله واختارهم من بين عباده، وان العباد منهم الظالم لنفسه، ومنهم المقتصد، ومنهم السابق بالخيرات بأذن الله إذناً تكوينياً، أي بالفعل كانوا هم السابقين لغيرهم من العباد بكل فضل وفضيلة، وإذناً تشريعياً، أي شرع الله لهم السبق على غيرهم، وإن هذا الإیراث والاصطفاء والسبق هو الفضل الكبير من الله لهم. (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) (١٠٧).

الموارد العلمية التي ورثها الأئمة عن النبي (صلى الله عليه وآله)  
 ١- علمنا ممّا سبق أن أول علمٍ ورثوه عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو العلم الإلهامي الذي هو أساس علومهم كلها كما مرّ تفصيله، أي انهم لا يلهمون شيئاً من العلم إلاّ بعد ما ألهم به النبي (صلى الله عليه وآله) ويعلم به، ثم يُلهم به كل واحدٍ منهم سواء أيام حياتهم أو بعد وفاتهم، حتى لا يكون اللاحق أعلم من السابق.

٢- علم صحائف الأعمال للعباد أيضاً تعرض على السابق منهم ثم اللاحق.

٣- علم المقدّرات في ليلة القدر إلى ليلة القدر الثانية تعرض على السابق قبل اللاحق وهلم جرا.

٤- ورثوا القرآن بأنواع علومه ومعارفه تنزيلاً وتأويلاً، كما قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) أول الوارثين المصطفين علي أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأول الذين اصطفاهم بعد نبيه، وأورثهم علوم الكتاب هو نفس النبي (صلى الله عليه وآله) بحكم آية المباهلة (١٠٨)، وأخوه بحكم المؤاخاة قبل الهجرة وبعدها (١٠٩)، وزوج سيدة نساء العالمين التي زوجها الله سبحانه بها، وأشهد على زواجه ملائكتته (١١٠)، وربيبة الذي وضعه في حجره وهو وليد، يضمّه إلى صدره، ويكنفه في فراشه، ويمضغ الشيء ثم يلقمه إياه (١١١)، وباب مدينة علمه بنص النبي الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله) وهو علي أمير المؤمنين (عليه السلام) (١١٢).

علمه (عليه السلام) بالقرآن، وقوله: سلوني قبل أن تفقدوني

ومن هنا كان (عليه السلام) طالما يرقى المنبر - أيام خلافته - ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، ومن ذلك ما قاله (عليه السلام) لما بُوع بالخلافة: يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، فاسألوني

فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثبت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأنتم تثلون القرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه، ولولا آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية) يَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (الرعد/٤٠).

ثم قال (عليه السلام) سلوني قبل أن تفقدوني فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتوني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت، مكياً ومدنيها، سفرها وحضرها، ناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم ... الخ (١١٣).

حديث مهم له (عليه السلام) حدث به سليم الهلالي

عن سليم بن قيس قال: قلت لأمر المؤمنين: يا أمير المؤمنين إني سمعت من سلمان، والمقداد، وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن، ومن الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) ثم سمعت منك تصديق ما سمعته منهم، ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن، ومن الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) تخالف الذي سمعته منكم، وأنتم تزعمون أن ذلك باطل، أفتري يكذبون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين؟ ويفسرون القرآن برأيهم؟ قال: فأقبل علي (عليه السلام) فقال لي:

يا سليم سألت فأفهم الجواب:

ان في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وخاصاً وعمماً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده، حتى قام خطيباً فقال:

أيها الناس قد كثرت الكذابة، فن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ثم كذب علي من بعده حتى توفي رحمة الله على نبي الرحمة وصلى الله عليه وآله.

تقسيم الحديثين عن النبي إلى أربعة أقسام

وإنما يأتيك بالحديث أربعة نفر ليس لهم خامس، (رجل) منافق مظهر للإيمان، متصنع بالإسلام، لا يتأتم ولا يتخرج ان يكذب علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمداً، فلو علم المسلمون انه منافق كذاب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا: هذا صاحب رسول الله.

وقد أخبر الله عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بما وصفهم فقال الله عز وجل: وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ (المنافقون/٥)، ثم بقوا بعده وتقربوا إلى أئمة الضلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان، فولوهم الأعمال وحملوهم على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك، والدنيا إلا من عصم الله، فهذا أول الأربعة.

(رجل) سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يحفظه على وجهه، ووهم فيه، ولم يتعمد كذباً، وهو في يده يرويه ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلو علم المسلمون انه وهم لم يقبلوا، ولو علم هوانه وهم لرفضه.

(رجل) ثالث سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئاً أمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه نهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ فلو علم انه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون انه منسوخ لرفضه.

(رجل) رابع لم يكذب على الله، ولا على رسول الله بغضاً للكذب وتخوفاً من الله وتعظيماً لرسوله (صلى الله عليه وآله) ولم يوهم، بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص، وحفظ الناسخ من المنسوخ فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ، وان أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونهيه مثل القرآن ناسخ ومنسوخ، وعمماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهه، وقد كان يكون من رسول

الله (صلى الله عليه وآله) الكلام له وجهان كلام خاص، وكلام عام مثل القرآن يسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، وما عنى به رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يسأله فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يستفهم، حتى ان كانوا يحبون ان يجيء الطارئ، والأعرابي فيسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى يسمعوا منه، وكنت أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة، فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لم يكن يصنع ذلك بأحد غيري، وربما كان ذلك في منزلي فإذا دخلت عليه في بعض منازل خلا بي وأقام نساءه فلم يبق غيري وغيره، وإذا أتاني للخلوة في بيتي لم يقم من عندنا لا فاطمة ولا أحداً من ابني، وإذا سألته أجبني، وإذا سكنت أو نفذت مسائلي ابتدأني، فما نزلت عليه آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملأها علي فكتبتها بخطي، ودعا الله أن يفهمني إياها ويحفظني، فما نسيت آية من كتاب الله منذ حفظتها وعلّمني تأويلها وأملأه علي فكتبتها، وما ترك شيئاً علّبه الله من حلال وحرام، أو أمر ونهي، أو طاعة ومعصية، ما كان أو يكون إلى يوم

يا أبا محمد ليس هذا هو العلم، إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار يوماً بيوم، وساعة بساعة (١٢٤)، قول الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا الحديث: {ليس هذا هو العلم، إنما العلم ما يحدث بالليل والنهار يوماً بيوم، وساعة بساعة} نفيه (عليه السلام) في هذا الحديث العلم الموروث من الأنبياء وكتبهم بقوله {ليس هذا هو العلم} إنما يريد به النسبة.

أي نسبة هذا العلم إلى العلم الذي يفيضه الله سبحانه من عنده على قلب المؤمن آناً بعد آناً، كأنه ليس بعلم، لأن ذلك العلم الموروث من الأنبياء وكتبهم مادّي وتقليدي، قد يحصل من طرق السماع وقراءة الكتب أو حفظها، وقد تقع كتبهم بيد من لا يعرف تنزيلها وتأويلها ومفادها ولكن العلم الحقيقي هو العلم الذي يفيضه الله سبحانه على قلوب المخلصين من عباده في كل وقت من الليل والنهار ساعة بساعة، كما ورد: {إن العلم نور يقذفه الله في قلوب العارفين} وفي نص {العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء}، إذ بهذا العلم الحقيقي المستمد مباشرة من الله عز وجل وبلا واسطة هو الذي تستر به النفس الإنسانية السليمة، وينشر به الصدر للمؤمن، ويتنور به القلب للمخلص، ويتحقق به العلم للعالم بحيث كأنه ينظر إليه ويشاهده.

وإلى هذا العلم يشير القرآن المجيد بقوله تعالى: (أَفَنُ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الزمر/٢٣).

وبقوله تعالى: (فَن يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضْلِهِ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام/١٢٦).

ومن هنا قلنا - فيما مضى - ان العلم الإلهامي هو أفضل طرق علومهم، وأساسها الذي تنفرع منه وترجع إليه جميع الطرق والجهات الأخرى.

بل قد تعتبر جميع طرق علومهم من عرض صحائف الأعمال، وعرض المقدرات من السنة إلى السنة في ليلة القدر، وعرض سائر الكتب الإلهية من صحف وتوراة وإنجيل وزبور وقرآن وغيرها من الكتب - التي سنذكرها فيما يلي - كلها تعتبر كجسم، وعلهم الإلهامي روح لها.

فلولا هذا العلم الإلهامي من الله عز وجل لهم لما استطاعوا ان يتفوقوا على جميع ما أودع في تلك الكتب من حقائق وعلوم ومعارف. فهم (عليهم السلام) إنما يستمدون علومهم كلها - بجهد - من هذه المعروضات عليهم بواسطة الإلهام، لا أنهم يستمدون علمهم مما عند الناس الآخرين، حيث ان الله جلّ وعلا قد أغناهم بهذه العلوم عما عند الناس من علم.

وقد اعترف بهذه الحقيقة وعرفها جيداً المأمون بن الرشيد العباسي بقوله لبني العباس لما أراد أن يزوج الإمام الجواد (عليه السلام)

بابتته - لإغراضٍ سياسية - ومنعه العباسيون من ذلك، قال لهم: ويحكم أن أهل هذا البيت علمهم من الله، ومواده، وإلهامه، لم تنزل أبائهم أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال ... الخ (١٢٥).

بل قد اعترف بهذه الحقيقة لأئمة الهدى حتى يزيد بن معاوية بقوله لما طلب زين العابدين (عليه السلام) منه ان يخاطب وأبي أن ياذن له، قال له أصحابه إئذن له يا أمير، قال: انه ان صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا له: وما قدر ما يحسن هذا؟ قال: انه من أهل بيت زقوا العلم زقا، أي زقوا العلم من الله بواسطة رسوله (صلى الله عليه وآله) ويشير بذلك إلى قول علي (عليه السلام) في بعض خطبه: هذا سبط العلم هذا لعاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) هذا ما زقنيه رسول الله زقا، فاسألوني فأن عندي علم الأولين والآخرين.

نعم هكذا عرف أعداء أهل البيت - وغاصبي حقهم - مقامهم السامي عند الله، وأنهم حجج الله بعد رسوله، وأن علومهم كلها من عند الله، وأنهم مع الحق والحق معهم، ولكنهم كرههم، وغضبوا حقوقهم لكرههم الحق بعد أن عرفوه - إتباعاً للهوى، وركوناً إلى الدنيا - وهذا ما أنكره الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله تعالى: (أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (المؤمنون/٧٠-٧٢)، وقال تعالى: (لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَمْرُؤًا فَنَّا مِيرْمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (الزخرف/٧٩-٨٠)، وقال تعالى: (وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (النمل/١٥)).

ومن مجموع ما تقدم علمنا علم اليقين أن أئمة الهدى من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) لا يقاس بهم أحد من الناس مطلقاً لتفوقهم عليهم بكل فضلٍ وفضيلة، وأن الله قد آتاهم ما لم يؤت أحداً من العالمين، لعلمه جلّ وعلا باستحقاقهم لهذا التفوق وهو الحكيم العليم. ويؤيد ذلك قول النبي (صلى الله عليه وآله) الشهير المروي بأسانيد عديدة وطرق كثيرة: نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد (١٢٦).

وكان علي (عليه السلام) يصرح بهذا على المنبر أمام الجماهير العامة فيقول: "نحن أهل بيت رسول الله لا يقاس بنا أحد" (١٢٧). وهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب حينما سُئل عن علي - بالنسبة إلى الصحابة - قال: علي من أهل بيت لا يقاس به أحد، وهو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في درجته، ثم استدل على ذلك بقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) (الطور/٢٢)، ثم قال: ففاطمة مع رسول الله في درجته، وعليٌّ معهما (١٢٨).

فهذا علي وهؤلاء أبنائه المعصومون هم أهل العلوم الإلهامية وهم مع رسول الله في درجته، وورثة علومه وعلوم الأنبياء والمرسلين من قبله الذين اجتباهم الله سبحانه وخاطبهم بقوله: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) (الشورى/١٤) (١٢٩).

فالرسل والأنبياء والأوصياء ونبينا وأئمة الهدى من أهل بيته هم كلهم حملة دين الله، وأمنائه في أرضه، وحفظة سره كما جاء في دعاء الندبة بعد ذكر أولي العزم من الرسل نوح وإبراهيم وموسى وعيسى قال: وكل شرعت له شريعة، ونهجت له منهاجاً، وتخيرت له أوصياء مستحفظاً بعد مستحفظ من مدة إلى مدة إقامة لدينك وحجة على عبادك ... الخ (١٣٠).

فهم سلسلة متواصلة غير منقطعة من آدم إلى الخاتم وإلى ان يرث الله الأرض ومن عليها، يرث اللاحق منهم السابق وأفضلهم - على الإطلاق - نبينا وأئمتنا الهداة (عليهم السلام) الذين ورثوا العلوم كلها عن الله ورسوله وسائر رسله وأنبياؤه السابقين. نصوص من الزيارات

اقرأ ما جاء في زيارة الجامعة الكبيرة التي هي أحسن الزيارات الجامعة متناً وسنداً وأكلها وأولها تقول: "أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله، ثم تكبر الله مائة مرة، ثم تقول:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة ونخزان العلم ومنتهى الحلم وأصول الكرم وقادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخبار، وساسة العباد وأركان البلاد، وأبواب الإيمان وأمناء الرحمن وسلالة النبيين وصفوة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين ورحمة الله وبركاته.

السلام على أئمة الهدى ومصابيح الدجى وأعلام التقي وذوي النهى وأولي المحي وكهف الوري وورثة الأنبياء والمثل الأعلى والدعوة الحسنى وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته ... الخ" (١٣١).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة المبعث النبوي ويومه على ما ذكر المفيد، والشهيد في مزاريهما، والسيد ابن طاووس في مصباح الزائر فقالوا: إذا أردت زيارة أمير المؤمنين (عليه السلام) ليلة المبعث أو يومه فقف على باب القبة الشريفة مقابل ضريحه وقل:

"أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وان علي بن ابي طالب أمير المؤمنين عبد الله وأخو رسوله، وأن الأئمة الطاهرين من ولده حجج الله على خلقه، ثم ادخل وكبر الله مائة مرة وقل:

السلام عليك يا وارث آدم خليفة الله، السلام عليك يا وارث نوح صفوة الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كلم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد سيد رسل الله، السلام عليك يا أمير المؤمنين ... الخ" (١٣٢).

ومثل ذلك ورد في زيارة الإمام الحسين المعروفة بزيارة وارث، وجاء في كثير من زيارات أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين (عليهم السلام) انهم ورثة علوم الأنبياء، وورثة علوم الأولين والآخرين.

ويؤيد ذلك ما تواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله) بتشبيهه علي (عليه السلام) يرسل الله وأنبيائه في أحاديث كثيرة، مثل قوله (صلى الله عليه وآله): {من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وفي نص: في طاعته، وفي نص: في حكمه"، وإلى إبراهيم في خلته، "وفي نص: في حلمه"، وإلى موسى في بطشه، "وفي نص: في هيئته"، وإلى عيسى في عبادته "وفي نص: في ورعه"، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب}.

وفي بعض النصوص: وإلى يعقوب في حزنه، وإلى يوسف في جماله، وإلى سليمان في ملكه، وإلى أيوب في صبره، وإلى يحيى في زهده، وإلى يونس في سننه، وإلى محمد (صلى الله عليه وآله) في خلقه وجسمه وشرفه وكال منزلته فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

ومصادر هذه الأحاديث كثيرة، وقد جمع بعضها صاحب (تعليقات إحقاق الحق) فراجع إذا شئت (١٣٣).

يقول الشاعر:

ليس على الله بمستنكر\*\*\* أن يجمع العالم في واحد

ونختم هذا المورد بما جاء في الصحيفة السجادية الجامعة ص ٤٣، ومنتخب الأدعية ص ١٣:-

"اللهم يا من خصّ محمداً وآله بالكرامة، وحباهم بالرسالة، وخصّهم بالوسيلة، وجعلهم ورثة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة (عليهم السلام) وعلّمهم علم ما كان وعلم ما يكون، وجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم، فصلّى على محمد وآله الطاهرين وأفعل بنا ما أنت أهله في الدين والدنيا إنك على كل شيء قدير برحمتك يا ارحم الراحمين".

الطريق السادس من ينابيع علم الأئمة (عليهم السلام)

تفسير القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين (عليه السلام)

بأمر النبي بعد وفاته (صلى الله عليه وآله)

السادس مما ورثه الأئمة من النبي (صلى الله عليه وآله) تفسير القرآن المجيد الذي ألفه الإمام علي (عليه السلام) بأ  
وفي حديث آخر مسند عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة،  
وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة، قال: فقلت: وما مصحف فاطمة؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه (صلى الله عليه وآله)  
دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها ملكاً يسلي عنها غمها، ويحدثها، فشكت ذلك  
إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال لها: إذا أحسستِ بذلك وسمعتِ الصوت قولي لي، فأعلمته، فجعل يكتب كلها سمع حتى أثبت  
من ذلك مصحفاً، قال:

أما أنه ليس فيه من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون (١٤٨).

وهذه الكتب من الجامعة، والجفر الأبيض والجفر الأحمر ومصحف فاطمة، وتفسير القرآن المجيد، وسائر العلوم التي أنزلها الله تبارك  
وتعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله) وغيرها من كتب أخرى، وأسلحة كلها ورثها الأئمة الهداة من نبي الرحمة نبينا محمد (صلى الله  
عليه وآله) وهي الآن عند الإمام صاحب العصر والزمان صلوات الله وسلامه عليه وعلى آباءه الطاهرين وعجل الله تعالى فرجه.  
أما ما كان يحدث به جبرئيل وغيره من الملائكة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فلا غرابة فيه ولا بدعة، ولا منافاة للأدلة القطعية، بل  
هذه خصوصيات يخص الله بها من يشاء من عباده من الرجال والنساء.

وللتأكيد راجع ما مرّ عليك من (الطريق الثالث من ينابيع علم الأئمة - حديث الملائكة معهم (عليهم السلام) ومن جملة عناوين هذا  
الباب "المحدثون وليسوا بأنبياء من الرجال والنساء" و"الملائكة تحدث المؤمنين وغير المؤمنين عند حضور آجالهم" ونختم الموضوع بقوله  
تبارك وتعالى: (يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (البقرة/١٠٧) و(آل عمران/٧٦).

عود إلى الصفات الخمس لنبينا في القرآن

يقول الله تبارك وتعالى في سورة الأحزاب: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (٤٥) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.)

الصفة الثانية والثالثة: كونه (صلى الله عليه وآله) مبشراً ونذيراً

الصفة الثانية كونه (صلى الله عليه وآله) مبشراً، أي يبشر كل من أطاع الله وأطاعه (صلى الله عليه وآله) - بمطلق ما جاء به من  
الدين عقيدة وعملاً - بحسن العاقبة في الدنيا، والجنة والنعيم المقيم في الآخرة.

والصفة الثالثة كونه (صلى الله عليه وآله) نذيراً أي يُنذر كل من عصى الله وعصاه - بمطلق ما جاء به (صلى الله عليه وآله) من الدين  
عقيدة وعملاً بسوء العاقبة والعذاب الأليم في الآخرة.

وقد جاء هذا النص المخاطب به النبي (صلى الله عليه وآله) (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) مكرراً في سورتي (الأحزاب) و(الفتح/٩) كما جاء في سورة  
الفرقان قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (الفرقان/٥٦)، وقد قام النبي (صلى الله عليه وآله) - امتثالاً لأمر ربه - بواجب  
التبشير والتنذير بكل ما فيهما من معنى، حتى عُرف (صلى الله عليه وآله) وسمي بالبشير النذير.

ولم يقم بهذا الواجب الإلهي بتمامه وكاله نيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله) مثل ما قام به - بلا تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان  
- علي أمير المؤمنين وأبناءؤه المعصومون من بعده، إذ هم أوصيائه من بعده وخلفاؤه في أمته، وورثة علومه، وهم المبشرون والمنذرون  
بالتمام والكمال اللذين قام بهما النبي (صلى الله عليه وآله).

الصفة الرابعة: كونه (صلى الله عليه وآله) داعياً إلى الله

والصفة الرابعة كونه (صلى الله عليه وآله) داعياً إلى الله باذنه أي يدعو إلى الله من الإقرار بتوحيده والامتنان لأوامره والانتها عن  
نواهيه وسائر عباداته جل وعلا.

وهذه الدعوة منه (صلى الله عليه وآله) بأذن تشريعي من الله له، أي ان الله هو الذي شرع له هذه الدعوة فهو إذاً داعي الله في

عباده، وما علينا نحن إلا أن نستجيب لهذه الدعوة المباركة التي تسبب لنا من جهة غفران ذنوبنا، وإخراجنا من العذاب الأليم، قال تعالى: يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (الأحقاف/٣٢-٣٣).

ومن جهة أخرى ان استجابتنا له (صلى الله عليه وآله) تسبب لنا الحياة الروحية الحقيقية وبدونها نكون أمواتاً قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (الأنفال/٢٥).  
تدبروا هذه الآية الكريمة التي يخاطب الله بها المؤمنين بقوله) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ (ثم يقول) إِذَا دَعَاكُمْ (ولم يقل: إذا دعاكم، فالضمير هنا يعود إلى الرسول فقط، ذلك لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) هو المباشر لهذه الدعوة باذن الله، وفلسفتها وعلتها، وفائدتها إنها جاءت لإحيائنا، ومعنى هذا إننا إن أجبنا دعوة نبينا فنحن أحياء وإلا فنحن أموات غير أحياء، كما قال عز من قائل: أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (النحل/٢٢).

وقال تعالى: إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (النمل/٨١-٨٢)، و(الروم/٥١-٥٢).

ولم يبق أيضاً بهذه الدعوة إلى الله وإلى دينه القويم بتمامه وكاله نيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله) مثل ما قام به - بلا تغيير ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقص - علي الذي يقول فيه النبي (صلى الله عليه وآله) " { لا يؤدي عني إلا أنا أو علي } (١٤٩).  
وهكذا أئمة الهدى الأحد عشر من أبنائه المعصومين من بعده وخلفائه في أمته وورثة علومه "الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (١٥٠).

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إن أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من توفدون (١٥١).

الصفة الخامسة: كونه (صلى الله عليه وآله) سراجاً منيراً  
والصفة الخامسة كونه (صلى الله عليه وآله) سراجاً منيراً "أي يصدر منه النور المعنوي من جهته - بأفعاله وأقواله وإقراره - كما يصدر الضياء من جهة السراج. هذا من جهة ومن جهة أخرى قد يصدر منه النور المادي المشرق كإشراق الشمس نهاراً، والقمر ليلاً معجزةً يجريها الله تعالى له لتصديق ما جاء به من ادعائه النبوة، أو ادعائه بوحي خاص أوحاه الله إليه في بعض الأحيان، فهو السراج المنير معنوياً ومادياً، روحاً وجسماً.

أما جسمه الشريف فقد خلقه الله من أفضل طينة مباركة، وأما روحه الطاهرة فقد خلقها الله من نوره جلّ وعلا، وهكذا أهل بيته المعصومون من علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) كلهم شاركوه في ذلك النور المادي والمعنوي والروحي والجسمي، وهم منه وهو منهم على ما تواتر ذلك عنه (صلى الله عليه وآله) ، وكلهم مخلوقون من طينة واحدة، ومن نور واحد، وتجد تحقيق ذلك، والاستدلال عليه في كتابنا (قبس من القرآن) في صفات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) في الفصل الأخير منه وعنوانه "الرسول الأعظم والنور الذي أنزل معه" من ص ٣٠٧-ص ٣٤٦، فراجع.

(وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) (طه/٤٨).

١- (مجمع البيان) للطبرسي م ٣ ص ٣٧٨، و(تفسير القمي) ج ١ ص ٣٨٨، و(الميزان) ج ٢ ص ٣٤٩.

٢- (الدر المنثور) ج ١ ص ١٤٤، نقلاً عن رجل مجهول إنه قال: "والأمة الوسط أمة محمد (صلى الله عليه وآله) جميعاً.



٣- (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ٧، ويستدل بالآية على أحقية إجماع الأمة.

٤- (تفسير القرآن العظيم) ج ١ ص ١٩١.

٥- (مفاتيح الغيب) ج ٢ ص ١٠.

٦- راجع تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي ج ٢ ص ٩، و(البيضاوي) ج ١ ص ١٩٥، و(الدر المنثور) للسيوطي ج ١ ص ١٤٤، و(ابن كثير) ج ١ ص ١٩١ وغيرها.

٧- راجع (البحار) ح ٢٣ ص ٣٥١ نقلاً عن (المناقب) لابن شهر آشوب، ونقله عنه مختصراً الأستاذ الطباطبائي في (الميزان)، وكذا في (تفسير الصافي).

٨- (تفسير العياشي) ج ١ ص ٦٢، و(الصافي) ج ١ ص ١٤٧، و(البرهان) ج ١ ص ١٦٠، و(البحار) ج ٢٣ ص ٣٤٢ نقلاً عن (العياشي)، وعن (بصائر الدرجات) ص ١٩ و٢٤ من طريقين، كما نقله المجلسي في (البحار) ص ٣٣٦ عن (الكافي) للكليبي م ٣ ص ٧٤ وفيه زيادة مهمة، والطبرسي في (جمع البيان) م ١ ص ٢٢٤.

٩- (العياشي) في تفسيره ج ١ ص ٦٣، ونقله المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٣٤٣ عن (بصائر الدرجات) ص ٢٣ وعن (العياشي)، وفي ص ٣٥٣ عن (محاسبة النفس) لابن طاووس نقلاً عن كتاب (تفسير القرآن) لابن عقدة و(كتاب الدلائل) للحميري وغيرهم.

١٠- (البحار) ج ٢٣ ص ٣٣٣-٣٥٣ و(شواهد التنزيل) ج ١ ص ٩٢ والطبرسي ص ٣٢٤.

١١- المصدر السابق.

١٢- راجع (المرشد إلى آيات القرآن الكريم) ص ٤٩٧ باب كثير.

١٣- روى الثعلبي في تفسيره بسنده عن أبي صالح، عن ابن عباس أنه قال: "أفمن كان على بينة من ربه (رسول الله صلى الله عليه وآله) ويتلوه شاهد منه" علي خاصة، ونقلها عن الثعلبي سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص ٢٠، ورواها القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن) ج ٩ ص ١٢ ط القاهرة، والشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٩٩ نقلاً عن الحموي في (فرائد السمطين) عن ابن عباس، وعن زاذان، والزرندي في (نظم درر السمطين) ص ٩٠ ورواها أخطب خوارزم الحنفي في (المناقب) ص ١٩٧، ونقلها عنه صاحب الينابيع ص ٩٩، كما نقلها عن كل من الثعلبي، وأبي نعيم، والواقدي، بأسانيدهم عن ابن عباس، وروى الثعلبي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان، فقال له رجل: وأي آية نزلت فيك؟ فقال علي (عليه السلام) أما تقرأ الآية التي في سورة هود "وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" ورواها عن جابر الطبري في تفسيره ج ١٢ ص ١٠ ط الميمنية بمصر، ورواها النيشابوري في تفسيره بهامش تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٦، والعلامة الخازن في تفسيره ج ٣ ص ١٨٣ ط مصر، والسيوطي في (الدر المنثور) ج ٣ ص ٣٢٤ ط مصر قال: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة عن علي بن أبي طالب (رض) قال: ما من رجل من قريش إلا نزلت فيه طائفة من القرآن، فقال له رجل: ما نزل فيك؟ قال أما تقرأ سورة هود "أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بينة من ربه، وأنا شاهد منه، قال السيوطي: أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم عن علي في الآية أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بينة من ربه، وأنا شاهد منه، وقال السيوطي أيضاً: وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عن علي (رض) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "أَفَمَنْ كَانَ عَلٰ"

٥٠- راجع (البحار) ج ٢٣ ص ٣٥٣ نقلاً عن محاسبة النفس ص ١٢٦.

٥١- (تفسير العياشي) ج ٢ ص ١٠٩، و(تفسير القمي) ج ١ ص ٣٠٤، و(الشافعي في شرح الكافي) ج ٣ ص ١٥٦، و(معاني الأخبار) للصدوق باب النوادر ص ٣٧٢، و(البحار) ج ٢٣ ص ٣٤٠ نقلاً عن القمي في تفسيره، و(المعاني)، و(العياشي)، (بصائر الدرجات) ل محمد بن الحسن الصفار ص ١٢٦.

٥٢- (البحار) ج ٢٣ نقلاً عن كتاب (بصائر الدرجات) ص ١٢٧ و(الشافعي) ج ٥٣ ص ١٥٨، و(تفسير الصافي) عند تفسير الآية الكريمة.

- ٥٣- المصدر السابق نقلاً عن (أمالي الشيخ الطوسي) ص ٢٦١ وص ٣٤٤ وص ٣٤٥ وص ٣٤٦ وص ٣٤٧ وص ٣٤٨، نقلاً عن (بصائر الدرجات) ص ١٢٥-١٢٧.
- ٥٤- قال الطبرسي في (مجمع البيان) ج ١١ م ٣ ص ٦٩، وروى أصحابنا أنّ أعمال العباد تعرض على النبي (صلى الله عليه وآله) في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على الأمة فيعرفونها... الخ، و(العياشي) ج ٢ ص ٥٥، و(القمي) ج ١ ص ٢٧٧، و(تفسير فرات بن إبراهيم) ص ٩٧، و(بصائر الدرجات) ص ١٣١.
- ٥٥- (العياشي) ص ١٠٩، و(القمي) ص ٣٠٤، و(الصافي)، وراجع (البحار) من ص ٣٣٣-٣٥٣.
- ٥٦- (العياشي) في تفسيره ص ١٠٨، والقمي ج ١ ص ٣٠٤، و(البحار) ج ٢٣ ص ٣٣٨ عن مصادر.
- ٥٧- روى العياشي ج ١ ص ٢٥٦، والمفيد في (الاختصاص) ص ١٠٢ عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لأبي بصير: يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه فقال: {أولئك مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} فرسول الله في هذا الموضع النبي، ونحن الصديقون والشهداء، وأتم الصالحون تسموا بالصلاح كما سماكم الله.
- ٥٨- (شرح الشافي) للكافي ج ٣ ص ١٥٨ ونقله عنه الملا محسن الفيض في (الصافي)، و(البحار) نقلاً عن (بصائر الدرجات) ص ١٢٣.
- ٥٩- طالما يتساءل عن الكتاب والعترة أيهما أفضل، فالجواب عن هذا التساؤل ذكره النبي (صلى الله عليه وآله) في هذه الخطبة بقوله: {إني أرى أن لا افتراق بينهما جميعاً، لو قيس بينهما بشعرة ما إنقاست ... الخ} فإذا هما في الفضل سواء، إلا أن الكتاب يقدم بالذكر قبل العترة تأديباً.
- ٦٠- تجد الخطبة في كتابنا (قبس من القرآن) ص ٣٤٣، وقد نقلناها عن (البحار) ج ٢٢ ص ٤٧٦، وقد نقلها المجلسي عن كتاب (الطرف) للسيد ابن طاووس، نقلاً عن كتاب (الوصية) لعيسى بن المستفاد الضرير عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام).
- ٦١- (تفسير العياشي) ج ١ ص ٢٤٢، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٧ ص ٣١٣، كما نقله عنه أيضاً العلامة الطباطبائي في (الميزان) ج ١٧ ص ١٠٩، ورواه الملا محسن الفيض في تفسيره (الصافي) عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم السلام).
- ٦٢- (الشافي في شرح الكافي) باب التوبة م ٦ ص ٥٦٦ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٧ ص ٣١٧.
- ٦٣- (علل الشرائع) للصدوق ص ٣٤٣ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٧ ص ٣١٨.
- ٦٤- راجع تفسير (الدر المنثور) للسيوطي ج ٦ ص ٣٨٠ نقلاً عن ابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان) ونقله عن (الدر المنثور) الطباطبائي في (الميزان) ج ٢٠ ص ٤٨٦، ورواه مرسلًا كل من الطبرسي في (مجمع البيان) ج ٥ ص ٥٢٦، والرازي في تفسيره ج ٨ ص ٤٨٦ وغيرهم.
- ٦٥- (الدر المنثور) نقلاً عن أحمد بن حنبل، وعبد بن حميد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وقد صححه، وابن مردويه، والبيهقي في (شعب الإيمان)، ونقله ابن كثير الدمشقي في تفسيره ج ٤ ص ٥٣٩ عن عدة مصادر ومنها (معجم الطبراني).
- ٦٧- راجع (ضياء الصالحين) ص ٤٥٧، ونظير هذا المعنى منتشر في كثير من كتب الأدعية.
- ٦٨- راجع (البحار) ج ٦٠ ص ١٧٨.
- ٦٩- راجع (أعيان الشيعة) للسيد الأمين ج ٢ ص ٤٨ نقلاً عن (إعلام النبوة) للهاوردي و(إعلام الوري بأعلام الهدى) للطبرسي ص ٣٢، وغيرهم.
- ٧٠- راجع (تفسير الجواهر) للطنطاوي ج ٩ ص ٦٦.
- ٧١- راجع (تفسير ابن كثير) ج ٣ ص ٥٢٦.
- ٧٢- راجع (تفسير الجواهر) للطنطاوي ج ٩ ص ٥٤ فيما نقل عن الشيرازي.
- ٧٣- أي ان الله تبارك وتعالى كشف لأهل مكة الحجب، وأراهم تلك القصور، كما قال تعالى: "فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ".

- ٧٤- راجع (الاحتجاج) للطبرسي ج ١ ص ٣٣١، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٥ ص ٢٦١ في ضمن حديث طويل احتج به أمير المؤمنين (عليه السلام) على يهودي.
- ٧٥- (ارتجس) أي اضطرب وتحرك حركة لها صوت.
- ٧٦- الأردن: جمع رذن، وهو أصل الكم.
- ٧٧- راجع (الأمالي) للصدوق ص ١٧١ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٥ ص ٢٥٧.
- ٧٨- قال تعالى في فرعون وآل فرعون بعد إهلاكهم: "فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ" (الدخان/٣٠) والمنطوق من هذه الآية الكريمة ان السماء والأرض ما بكت عليهم، لكفرهم، والمفهوم منها إن المؤمنين الصالحين تبكي عليهم السماء والأرض بعد فقدهم ولنا تحقيق حول هذه القصة وآياتها في ج ١ من (دراسات موضوعية في الإمام الحسين وعشرة محرم) نسأل الله أن يوفقنا لنشره قريباً.
- ٧٩- راجع (الصواعق المحرقة) لابن حجر ص ١١٥-١١٧ فقد نقل عن عشرات المصادر انقلاب العالم بأسره وتأثره بقتل الحسين (عليه السلام) وكذا (إقناع اللائم) للسيد الأمين العاملي ص ١٠-٢٨ فانه نقل عن المصادر العديدة تأثر أنواع المخلوقات.
- ٨٠- راجع الحديث بطوله في (البحار) ج ٤٥ ص ١٧٩ نقلاً عن كتاب (كامل الزيارات) لابن قولوية ص ٢٦٠، ونقله عنه أيضاً الدكتور عبد الجواد الكليدار في كتابه (كربلاء وحائر الحسين) ص ٧٧، ونقله عن البحار الشيخ مهدي المازندراني في (معالي السبطين) ص ٨٣، ونقله عن الكامل الشيخ جعفر نقدي في كتابه (زينب الكبرى) ص ٥٣، وقد ذكرناه بكامله في كتابنا (دراسات موضوعية في الإمام الحسين وعشرة محرم) في المجلس الرابع من الفصل الأول.
- ٨١- هذا ما أجاب به أمير المؤمنين (عليه السلام) اليهودي الذي سأله عن مسائل عديدة منها سؤاله عن أول حجر وضع على وجه الأرض فقال (عليه السلام): وأما سؤالك عن أول حجر وضع على وجه الأرض؟ فان اليهود يزعمون انه الحجر الذي بيت المقدس وكذبوا إنما هو الحجر الأسود الذي هبط به آدم معه من الجنة، فوضعه على الركن في البيت والناس يستلمونه ويقبلونه ويجددون العهد والميثاق فيما بينهم وبين الله، وكان أشدّ بياضاً من الثلج فأسود من خطايا بني آدم، قال اليهودي: أشهد بالله لقد صدقت ... الخ، راجع أسئلة اليهودي في الغدير ج ٦ ص ٢٥١ نقلاً من كتاب (زين الفتى في شرح سورة هل آتى) للمحافظ العاصمي، ونقلها الشيخ نجم الدين العسكري في (علي والخلفاء) ص ١٣٨ عن (فرائد السمطين) باب ٦٦ وعن زين الفتى، ورواها الصدوق في (إكمال الدين) من طريقين من ص ٢٨٨-٢٩٣.
- ٨٢- راجع (علل الشرائع) ص ٤٢٤ و ص ٤٢٧.
- ٨٣- مصادر القصة: (مستدرك الحاكم) ج ١ ص ٤٥٧، و(تلخيص المستدرك) في الذيل للذهبي، و(سيرة عمر) لابن الجوزي ص ١٠٦، و(عمدة القارئ) للعيبي ج ٤ ص ٦٠٦، و(إرشاد الساري) للقسطلاني ج ٣ ص ١٩٥ نقلاً عن (تاريخ مكة) للازرق، و(الدر المنثور) للسيوطي ج ٣ ص ١٤٤ نقلاً عن كل من الخنجدي في (فضائل مكة) وأبي الحسن القطان في (المطولات)، والبيهقي في (شعب الإيمان) وغيرهم، و(الجامع الكبير) للسيوطي أيضاً كما في (تريته) ج ٣ ص ٣٥ عن مصادر عديدة، ومنهم ابن حيان، و(الفتوحات الإسلامية) لآحمد زيني دحلان ج ٢ ص ٤٨٦، و(شرح النهج) لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٢٢، و(كنز العمال) للمفتي الهندي الحنفي ج ٥ ص ٩٣، و(أخبار الدول) للآتحاقي ص ٣١، و(أرحح المطالب) للشيخ عبد الله الحنفي ص ١٢٢، وغير هؤلاء، راجع (الغدير) للآميني ج ٦ ص ٩٥، و(الإحقاق) ج ٨ ص ٢٠٨-٢١٠، و(علي والخلفاء) للشيخ نجم الدين العسكري ص ١١٢-١١٧، و(البحار) للمجلسي ج ٩٩ ص ٢١٦ وذكرنا القصة، ومصادرها في كتابنا (الشفاء الروحي والجسمي في القرآن) تحت عنوان "قصة ظريفة تتعلق بتقبيل النبي (صلى الله عليه وآله) للحجر الأسود"، وتجد القصة مفصلاً في (البحار) ص ٢١٦-٢١٩.
- ٨٤- راجع (المراجعات) لشرف الدين رقم ٦ ص ٤٦ نقلاً عن (نهج البلاغة) ج ٢ ص ٣٦ عدد ١٤، والنصوص التي قالها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الخطبة جاءت متواترة عن أئمة الهدى في محاجّاتهم، وأدعيتهم، وأحاديثهم، راجع (الشافى في شرح

- أصول الكافي) م ٣ ص ١٦٢ وغيره من المصادر.
- ٨٥- راجع ما مر من كتابنا هذا الحديث الثالث من الفصل الثالث ص ٦٠ في مصادر حديث الشجرة، وبعض نصوصه.
- ٨٦- ذكرنا تفسير سورة القدر مفصلاً في ثلاث بحوث في كتابنا (الحقائق الكونية) ج ١ من ص ٥٩-٩٠ واستشهدنا بالآيات من سورة الدخان، وما ذكرناه هنا سنذكره مختصراً من ذلك المفصل، فراجع فإنه مهم.
- ٨٧- (الخصال) ج ٢ ص ٤٨٠، و(إكمال الدين) ص ٢٧٢ ونقله عن المصدرين المجلسي في (البحار) ج ٩٧ ص ١٥، و(الغيبة) ص ١٠٠.
- ٨٨- (الخصال) ص ٤٧٩، و(إكمال الدين) ص ٢٩٩، و(الشافى في شرح الكافي) ج ٢ ص ٢١٠، و(البحار) ج ٩٧ ص ١٥.
- ٨٩- (تفسير القمي) ج ٢ ص ٢٩٠، و(بصائر الدرجات) ص ٢٢١، والمجلسي في (البحار) ج ٩٧ ص ١٣.
- ٩٠- (تفسير القمي) ج ٢ ص ٣٧٦، و(البحار) ج ٩٧ ص ١٤.
- ٩١- (معاني الأخبار) ص ٣٠٠ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٩٧ ص ١٨.
- ٩٢- المصدران السابقان.
- ٩٣- (بصائر الدرجات) ص ٢٢٠، و(البحار) ج ٩٧ ص ٢٤.
- ٩٤- المصدران السابقان.
- ٩٥- قول أمير المؤمنين: ألا ان خير شيعتي النمط الأوسط إليه يشير بعض السادة الشعراء وهو السيد عدنان شبر:
- إمام الهدى وغيث الورى\*\*\* وسيدها الحاكم المقسط  
إمام به هلك المبغضون\*\*\* وفي حبه هلك المفرط  
كلا الجانبين عدو له\*\*\* وشيعته النمط الأوسط
- ٩٦- المراد من الحصانة، أي المتحصن بالدليل، والحصافة استحكام العقل فيجوز هذا، وذاك، والله العالم.
- ٩٧- أمالي الطوسي ج ٢ ص ٢٣٨، ومجالس المفيد ص ٤، وبشارة المصطفى ص ٥، وكشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ٣٧، والمختصر للحلي ص ٢٩، و(البحار) ج ٦ ص ١٧٨ نقلاً عن أمالي الشيخ، ومجالس المفيد، وسيأتيك إن شاء الله تمام الحديث في الفصل التالي.
- ٩٨- راجع (البحار) ج ٩٧ ص ١٩-٢٠ نقلاً عن (بصائر الدرجات) ص ٢٢٢.
- ٩٩- المصدران السابقان.
- ١٠٠- راجع (الشافى في شرح الكافي) ج ٣ ص ٢١٤.
- ١٠١- راجع (الدر المنثور) للسيوطي ج ٦ ص ٣٧١ و(مفاتيح الغيب) ج ٨ ص ٤٦٩.
- ١٠٢- حديث شهير متفق عليه، ترويه الصحاح والسنن والمسائيد وكتب التاريخ والفضائل والمناقب، راجع مصادره، ومفاده وموارده كتاب (المراجعات) لشرف الدين من ص ١٥٠-١٧١.
- ١٠٣- (علل الشرائع) ص ١٨٢ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ١٤ ص ٢٠٦ و(بصائر الدرجات) ج ٤٣ ص ٢٧٨.
- ١٠٤- (الشافى في شرح الكافي) ج ٣ ص ٢٦٢، و(الاختصاص) ص ٢٨١ و(بصائر الدرجات) ج ٧ ص ٣٢١.
- ١٠٥- راجع (الاحتجاج) للطبرسي ج ٢ ص ١٣٨ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٢٣ ص ٢١٥.
- ١٠٦- راجع المحاجة بتفصيلها في كتاب (عيون أخبار الرضا) لشيخنا الصدوق ج ١ ص ٢٢٨-٢٤٠ باب ٢٣، كما ذكرها في كتابه (الأمالي) المجلس ٧٩ ص ٣١٢-٣١٩، وقد نقلها عن العيون الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٤٣-٤٦ من الباب الخامس. وراجع إذا شئت (البحار) للمجلسي ج ٢٣ ص ٢٢٨-٢١٢ باب "ان من اصطفاه الله من عباده، وأورثه الكتاب هم الأئمة (عليهم السلام) وقد ذكر واحداً وخمسين حديثاً من مختلف المصادر الموثوق بها على ان الذين اصطفاهم الله هم الأئمة، وان الآية الكريمة نازلة فيهم.
- ١٠٧- راجع الأصناف الثلاثة في كتابنا (فاطمة والمفضلات من النساء).
- ١٠٨- راجع (الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء) للسيد شرف الدين مطبوعة مع (الفصول المهمة) لشرف الدين ص ١٩٧-٢٠٣ في نزول آية المباهلة.

- ١٠٩- راجع كتاب (حياة أمير المؤمنين) للسيد محمد صادق الصدر ط ٢ من ص ١١٣-١٢٥، و(الغدِير) للأميني ج ٣ ص ١٠٤-١١٦ و١٥٣ و١٥٤.
- ١١٠- راجع المصدرين السابقين (حياة أمير المؤمنين) ص ١٦٧-١٨٦، و(الغدِير))
- ١١١- راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ من ص ٢٥٠-٢٥٥.
- ١١٢- راجع (الغدِير) ج ٦ ص ٥١-٣٣٥ في ترجمة الشاعر شمس الدين المالكي وما علق على شعره ومما علق عليه قوله وقال رسول الله إني مدينة\*\*\* من العلم وهو الباب والباب فاقصد وقد علق على حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها. الخ وذكر مصادره ومن أخرجه وهم جمع كثير من الحفاظ وأئمة الحديث فذكر له مائة وواحد وأربعين مصدراً

## ١١ الفصل الخامس: تحقيق حضور النبي (ص) والأئمة عند المحتضرين

### الفصل الخامس

#### تحقيق حضور النبي والأئمة عند المحتضرين

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً من أهل السماء إسرئيل ثم ميكائيل ثم جبرئيل، وأول من أحبه من أهل السماء حملة العرش ثم رضوان خازن الجنان ثم ملك الموت وان ملك الموت ليرحم علي محيي علي بن أبي طالب كما يترحم على الأنبياء (١).

يا لها من درجة عالية، ومنزلة راقية، وميزة عظيمة، ونعمة من الله تعالى جسيمة لمحبي علي أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث ان ملك الموت يترحم عليهم - عند قبض أرواحهم - كما يترحم على الأنبياء الذين هم أفضل خلق الله عز وجل حسب نص هذا الحديث الشريف الذي رواه الخالص والعام بأسانيدهم عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود:

وصية النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته ملك الموت بمحبهم

وإنما يترحم ملك الموت عليهم لان النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة إذا حضروا محبهم حال احتضاره يوصون ملك الموت به، فإذا ترحمه على المحبين لا من نفسه بل بوصية من النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته.

وهذا ليس بغريب ولا عجيب من لطف أهل البيت وحنانهم لمحبيهم، لأن العادة قضت ان المحب الحقيقي يحضر عند محبوبه في وقت محنته وبلائه ليكون مساعداً له على ذلك.

وليت شعري أي محنة وبلاء أعظم من ساعة انتزاع الروح من الجسد ومفارقة الأحباب والمال والجاه والحياة التي هي أعلى كل شيء. ومعلوم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأئمة هم مثال العطف والحنان والرعاية والإحسان لشيعتهم ومحبيهم لذا يحضرون عندهم - وهم أحياء عند ربهم يرزقون - في مثل هذا المأزق الحرج والظرف العصيب ليكونوا مساعدين لهم ومنقذين لهم من ذلك البلاء، ومبشرين لهم بالخير العميم الذي سيقدمون عليه في عالمي البرزخ والقيامة.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) لمسمع بن عبد الملك البصري وكان من شيعته: يا مسمع أما أنك ستري - عند موتك - حضور آبائي لك، ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت، فلك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها (٢).

من شؤون إمامة النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة حضورهم عند المحتضرين

وحضورهم (عليهم السلام) لم يكن عند المحتضرين من محبيهم فقط، بل يحضرون عند كل محتضر مؤمن وكافر محب ومبغض، إذ أن من شؤون إمامتهم العامة - على جميع الناس - حضورهم عند كل محتضر ليشروا المؤمن المحب بحسن العاقبة والجنة، والكافر المبغض

بسوء العاقبة والنار.

وقد تواتر هذا المعنى في أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار بتفصيل تارة، واختصار تارة أخرى، ومن تلك التفاصيل التي تفصل كيفية حضورهم عند المحضرين ما رواه جَلَّ علمائنا كالكليني في (الكافي)، وابن شعبة في (تحف العقول)، وقرات بن إبراهيم في (تفسيره) وغيرهم من طرق عديدة بأسانيدهم عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال لجماعة من شيعته المؤمنين: "منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر، انه ليس بين أحدكم وبين أن يُعْتَبَطَ، ويرى السرور وقرّة العين إلا أن تبلغ نفسه ههنا - وأوماً بيده إلى حلقة - ثم قال: انه إذا كان ذلك وأُحْتَضِرَ، حضره رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي وجبرئيل وملك الموت (عليه السلام) فيدنون منه علي (عليه السلام) فيقول: يا رسول الله ان هذا كان يجنبنا أهل البيت فأحبه، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا جبرئيل ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه، ويقول جبرئيل لملك الموت: ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه وأرفق به فيدنون منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكأك رقتك؟ أخذت أمان براءتك؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ قال: فيوفقه الله عزّ وجلّ فيقول: نعم، فيقول وما ذاك؟ فيقول: ولاية علي بن أبي طالب فيقول: صدقت: أما الذي كنت ترجوه فقد أدركته، ابشر بالسلف الصالح مرافقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي وفاطمة (عليهما السلام) ثم يسَلِّ نفسه سلاً رقيقاً.

وفي بعض طرق الحديث قال الإمام الصادق (عليه السلام): ويناديه منادٍ من بطنان العرش يُسمعه ويُسمع من بحضرته، "أي الذين حضروا قبض روحه من النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته والملائكة"، (يَأَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر/٢٨-٣١].

وقال الإمام (عليه السلام): (يَأَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) إلى محمد ووصيّه والأئمة من بعده، (أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً) بالولاية (مَرْضِيَةً) بالثواب، (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) محمد وأهل بيته، (وَادْخُلِي جَنَّتِي) غير مشوبة، أي غير مخلوطة، بكدر وهم وما شاكل ذلك (٣). ثم قال الإمام الصادق (عليه السلام) ثم ينزل بكفنه من الجنة وحنوطه من الجنة بمسك أذفر، فيكفن بذلك الكفن، ويُحَنَطُ بذلك الحنوط، ثم يكسى حلة صفراء من حلل الجنة، فإذا وضع في قبره فتح الله له باباً من أبواب الجنة يدخل عليه من روحها ويريحانها، ثم يفتح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره، ثم يقال له: نم نومة العروس في فراشها، ابشر بروح وريحان وجنة ونعيم، ورب غير غضبان، ثم يزوره آل محمد في جنان رضوى فياً كل معهم من طعامهم، ويشرب من شرابهم ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائماً أهل البيت، فإذا قام قائماً بعثهم الله فأقبلوا معه يلبون زمراً زمراً (٤).

فمن ذلك يرتاب المبتلون ويضمحل المحلون "أي الذين لا يرون حرمة الأئمة ولا يتابعونهم" وقليل ما يكونون، هلكت المحاضير، ونجا المقربون، من أجل ذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي: {أنت أخي، وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام}.

ثم قال الإمام (عليه السلام) في بقية حديثه: وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي وجبرئيل وملك الموت "أي كما يحضرون عند المحب المؤمن كذلك يحضرون عند المبغض الكافر" فيدنون منه علي (عليه السلام) فيقول: يا رسول الله ان هذا كان يبغضنا أهل البيت فابغضه، ويقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا جبرئيل ان هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه واعنف به، ويقول جبرئيل: يا ملك الموت ان هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فابغضه واعنف به (٥). فيدنون منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكأك رقتك؟ أخذت أمان براءتك من النار؟ تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا، فيقول: ابشر يا عدو الله بسخط الله عزّ وجلّ وعذابه والنار، أما الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثم يسَلِّ نفسه سلاً عنيفاً، ثم يوكل الله بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم ييزق في وجهه، ويتأذى بروحه، فإذا وضع في قبره فُتِحَ له باب من أبواب النار فيدخل عليه من قيحها ولهبا (٦).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ومروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا التفصيل الوارد عن الإمام الصادق (عليه السلام) وارد

عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) مختصراً حيث قال (عليه السلام): والله لا يحبني عبدٌ أبداً فيموت على حبي إلاّ رأيته عند موته حيث يحب، ولا يبغضني عبدٌ أبداً فيموت على بغضي إلاّ رأيته عند موته حيث يكره (٧).  
والأحاديث هي هذا المعنى كثيرة ومروية عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين، وبعضها مروية من طرق أهل السنة، وإليك هذا الحديث الذي رواه أخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) بسنده عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): {والذي نفسي بيده، لا تفارق روح جسد صاحبها حتى يأكل من ثمر الجنة، أو من شجر الزقوم، وحتى يرى ملك الموت ويراني ويرى علياً وفاطمة والحسن والحسين فإن كان يحبنا قلت: يا ملك الموت أرفق به فإنه كان يحبني وأهل بيتي، وإن كان يبغضني ويبغض أهل بيتي قلت: يا ملك الموت شدد عليه فإنه كان يبغضني ويبغض أهل بيتي ثم قال (صلى الله عليه وآله): لا يحبنا إلاّ مؤمن، ولا يبغضنا إلاّ منافق شقي} (٨).  
وينقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال لولده الحسن: أعلم يا بني انه لا تموت نفس في شرق الأرض وغربها إلاّ وأبوك حاضرهما (٩).

وقال (عليه السلام) للحارث الهمداني وكان من خلص شيعته وأصحابه: يا حارث ابشر ليعرفني - والذي فلق الحبة وبرأ النسمة - وليّ وعدوي في مواطن شتى عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة، فقال الحارث: يا أمير المؤمنين وما المقاسمة؟ فقال (عليه السلام): مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحاحاً، أقول هذا وليّ وهذا عدوي (١٠).  
وإلى هذا يشير السيد الحميري حيث يقول:

قول علي لحارث عجبٌ \*\*\* كم ثمّ عجبوبةً له حملاً

يا حار همدان من يمت يرني \*\*\* من مؤمنٍ أو منافقٍ قبلاً

يعرفني طرفه وأعرفه \*\*\* بنعته واسمه وما عملاً (١١)

وأنت عند الصراط تعرفني \*\*\* فلا تخف عثرةً ولا زلاً

أسقيك من باردٍ على ظمأً \*\*\* تخاله في الحلاوة العسلاً

أقول للنار حين توقد للعرض \*\*\* دعيه لا تقربي الرجال

دعيه لا تقربه إن له \*\*\* حبلاً بجبل الوصي متصل

هذا لنا شيعة وشيعتنا \*\*\* أعطاني الله فيهم الأمل (١٢)

حضور النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة عند المحتضرين بأدلة القرآن المجيد

ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ حضور النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته عند المحتضرين - ولا سيّما المؤمن - مشار إليه في القرآن المجيد الذي فيه تبيان كل شيء - بآيات عديدة منه، كما في كثير من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ومنها ما مرّ ذكره علينا عن الإمام الصادق (عليه السلام) ي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً) حيث يقول الإمام: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ) أي إلى محمد ووصيه والأئمة من بعده، (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً) أي بالولاية، (مَرْضِيَّةً) أي بالثواب، (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) محمد وأهل بيته، (وَادْخُلِي جَنَّتِي) أي معهم ... الخ.

ومن الآيات التي تشير إلى ذلك قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ

اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [يونس/٦٤-٦٥].

وبيان ذلك نقول:

صرّحت هاتان الآيتان بأن (الَّذِينَ آمَنُوا)، أي صدّقوا بالله واعترفوا بوحدانيته، وبوعده ووعيده على لسان رسوله، (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) أي

يُحذرون معاصيه، (لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) ومما لا ريب فيه ان الله بشر عامّة المؤمنين المتقين في هذه الدنيا في القرآن على إيمانهم وتقواهم مثل قوله تعالى مخاطباً رسوله: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) [البقرة/٢٩]، وقوله تعالى: (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ) [يونس/٤]، إلى غير ذلك من الآيات، وقد قام النبي (صلى الله عليه وآله) - امتثالاً لأمر ربه - بالبشائر العديدة للمؤمنين المتقين، كما قام بالإنذار للكافرين والعاصين وهو البشير النذير هذا ما اخترعه المخترعون من غربيين وشرقيين وأبن مزاياهم من مزايا المبدع المكون، وفي الحقيقة لم يتوصل المخترعون لهذه المخترعات وأمثالها التي كانت غاية في الإبداع والدقة - إلا من فيض واجب الوجود الذي صرح في كتابه الكريم: (عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ) [العلق/٦]، أفترى أن الله الذي خلق كل شيء وهو على كل شيء قدير يعجزه ان يري المحترض مثلاً كاملاً لرسوله وأهل بيته مع أرواحهم الشريفة؟ ليرى محبهم جزاء محبته لله ولرسوله وأهل بيته؟ ويرى مبغضهم أيضاً جزاء بغضه لهم، كما قد وردت نصوص عديدة تصرح بأن المحترض يمثل له النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار، ومن تلك النصوص ما رواه جلال علمائنا المحدثين كالكليني والصدوق، وابن شعبة، وغيرهم بأسانيدهم عن سدير الصيرفي قال: لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك يا بن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا والله انه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: يا ولي الله لا تجزع فوالذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله) نبياً لأننا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: ويمثل له رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم، فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينظر وينادي روحه مناد من قبل رب العزة فيقول له: (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) إلى محمد ووصيه وأهل بيته، (ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً) بالولاية (مَرْضِيَّةً) بالثواب، (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) يعني محمداً وأهل بيته، (وَادْخُلِي جَنَّتِي) فما من شيء أحب إليه من استدلال روحه والحق بالمنادي (٢٢).

ومن النصوص التي تصرح بأن المحترض يمثل له النبي (صلى الله عليه وآله) وسائر أصحابه إلى الله أختياراً كانوا أو أشراراً ما رواه الكليني في (أصول الكافي) بسنده عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) انه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): انظروا من تحادثون فإنه ليس من أحد ينزل به الموت إلا مثل له أصحابه إلى الله، وفي نص: مثلت له أصحابه في الله ان كانوا أختياراً نخيلاً، وان كانوا أشراراً فشراراً، وليس أحد يموت إلا تمثلت له عند موته (٢٣).

ومن جهة ثالثة يمكن أن يكشف الله الحجب ويزيل الأغطية عن أبصار المحترضين ويريهم النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته بأجسادهم الطاهرة الأصلية، وأرواحهم المقدسة، ويسمعهم أيضاً كلامهم ويريهم سائر حركاتهم وسكاتهم (عليهم السلام) في جناتهم ومقامهم السامي عند ربهم.

ونستدل على هذا المعنى من عظيم قدرة الله عز وجل الباهرة بما قصه الله لنا في القرآن المجيد من إنه تبارك وتعالى يُطلع أهل الجنة - وهم في الجنة - على أهل النار، كما يُطلع أهل النار - وهم في النار - على أهل الجنة، ويخاطب بعضهم بعضاً، ويسمع بعضهم خطاب بعض، بالرغم مما بينهم من بعد المسافات وكثرة الحجب التي لا يعلمها إلا الله.

وهذا المعنى قد استعرضه الله سبحانه بآيات عديدة من القرآن المجيد منها قوله تعالى في سورة الأعراف: (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) إلى قوله تعالى: (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الكَافِرِينَ) [الأعراف/٤٥-٥١].

ومن الآيات التي تصرح بتساؤل أهل النار قوله تعالى في سورة المدثر: (فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ) (٤٠) عَنْ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) [المدثر/٤١-٤٤]، ومنها في سورة الصافات مما يجري فيما بين أهل الجنة من التساؤل: (فَأَقْبَلَ



بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَاتِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَتَيْتُكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَتَيْتُكَ تَرَابًا وَعِظَامًا  
أَيْمًا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مَطْلُوعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَأَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرِدِّيَنِي (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ  
مِنَ الْمُحْضَرِينَ [الصفات/٥١-٥٨].

ومنها في سورة المطففين حيث يصف أهل الجنة وانهم في جناتهم يشرفون على أهل النار ينظرون إليهم ويضحكون عليهم بقوله  
تعالى: (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ) (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ تُؤبَبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المطففين/٣٥-  
٣٧].

أي هل جوزي الكفار ما كانوا يفعلون؟ فيأتيهم الجواب منهم: نعم هذا عذابنا هو جزاء فعلنا.  
المكتشفات العلمية، ومشاهد عالمي البرزخ والقيامة

وهكذا استعرض الله سبحانه في كتابه المجيد، والنبي وأهل البيت (عليهم السلام) في أحاديثهم الشريفة كثيراً من مشاهد عالمي البرزخ  
والقيامة، وعالمي الجنة والنار وصوروا لنا تلك المشاهد الغيبية تصويراً حسيماً متحركاً، وتلك المشاهد كان المسلمون والمؤمنين يؤمنون بها  
ويصدقونها لعلمهم ان الله على كل شيء قدير، ولكن شاء الله - في قرنا هذا - ان تظهر للناس أمثلة رائعة لتلك الحقائق والمشاهد الغيبية  
بواسطة المكتشفات العلمية الحديثة التي جاءت مدعمة ومؤيدة لما جاء به الدين القويم في كتابه، وعلى لسان رسوله وأهل بيته (عليهم  
السلام).

ولكن - مما يبعث على الأسف والأسى أنه - كلما ازدادت تلك المكتشفات العلمية وتجيئ مؤيدة لما جاء به الدين يبتعد الناس أكثر  
عن الدين أتباعاً للنفس الأمارة بالسوء، وركوناً إلى الدنيا وزينتها الخداعة، واستجابة لدعوة شياطين الإنس والجن دون الاستجابة لله  
ولرسوله التي بها حياتهم الحقيقية في الدنيا والآخرة قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ  
اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [الأنفال/٢٥].

إمارات وتصريحات على ألسن بعض المحضرين

وعلى كلِّ حضور النبي (صلى الله عليه وآله) والأئمة الأطهار من أهل بيته قد جاءت به الأخبار الكثيرة المتواترة تواتراً قطعياً، والتي  
نقلنا بعضها مما فيه الكفاية، والتي أشار إليها القرآن المجيد، وأيدها العلم الحديث.

كما جاءت إمارات وتصريحات واضحة جلية على ألسن بعض المحضرين تدل على مشاهدتهم للنبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته منها:  
قصة السيد الحميري فيما جرى له عند وفاته

من تلك الإمارات الدالة على ذلك قصة السيد الحميري وما جرى له وما صدر عند وفاته وهي قصة شهيرة رواها النخاس والعام وشاهدها  
كل من كان حاضراً عنده من المحبين والمبغضين وجاءت بطرق عديدة عن بعض الحاضرين عنده فنها.

ما رواه الشيخ الطوسي في (أماله)، وابن شهر آشوب في (المناقب)، وعلي بن عيسى الأربلي في (كشف الغمة) وغيرهم كثير مسنداً  
عن علي بن الحسين بن عون عن أبيه انه قال: دخلت على السيد الحميري عائداً له في علته التي مات فيها، فوجدته يساق به، ووجدت  
عنده جماعة من جيرانه وكانوا عثمانية، وكان السيد جميل الوجه رحب الجبهة، عريض ما بين السالفتين (٢٤).

فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد، ثم لم تزل تزيد وتتمى حتى طبقت وجهه اسوداداً فاغتم لذلك من حضر من  
الشيعة، وظهر من الناصبة سرور وشماتة، فلم يلبث على ذلك إلا قليلاً حتى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل تزيد  
بياضاً وتتمى حتى أسفر وجهه وأشرق واقترب السيد ضاحكاً (٢٥).

وأنشأ يقول:

كذب الزاعمون ان علياً\*\*\* لا ينجي محبه من هنات (٢٦)

قد وربّي دخلت جنة عدن\*\*\* وعفى لي الإله عن سيئاتي

فأبشروا اليوم أولياء علي\*\*\* وتولّوا عليّ حتى الممات

ثم من بعده تولوا بنيه\*\*\* واحداً بعد واحد في الصفات  
ثم اتبع قوله هذا: اشهد ان لا إله إلا الله حقاً وأشهد ان محمداً رسول الله حقاً وأشهد ان علياً أمير المؤمنين حقاً حقاً، أشهد  
ان لا إله إلا الله. ثم غمض عينيه لنفسه فكأنما كانت روحه ذبالة طُفئت أو حصاة سقطت (٢٧).  
قال الراوي علي بن الحسين بن عون: قال لي أبي الحسين بن عون: وكان أذينة حاضراً، فلما شاهد ما شاهد مما جرى للسيد عند  
احتضاره، فقال: الله أكبر ما من شهيد كمن لم يشهد أخبرني - وإلاً صمتاً - الفضيل بن يسار عن أبي جعفر وعن ابنه جعفر (عليهما  
السلام) انهما قالوا: حرام على روح ان تفارق جسدها حتى ترى الخمسة محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بحيث تقرر عينها أو -  
تسخن عينها، فانتشر الحديث في الناس، وشهد جنازة السيد - والله - الموافق والمفارق (٢٨).  
ومن شاهد حالة السيد عند احتضاره بشير بن عمار، وحدث بما شاهد، وذكر حديثه المؤرخون ومنهم أبو الفرج الاصفهاني في كتابه  
(الأغاني)، ونقل عنه الشيخ الأميني في (الغدیر) قال بشير بن عمار: حضرت وفاة السيد في الرميثة ببغداد (٢٩).  
فوجه رسولاً - قبل وفاته - إلى جماعة الكوفيين يعلمهم بحاله، وقرب وفاته، فغلط الرسول فذهب إلى جماعة من غيرهم، فشموه  
ولعنوه، فعلم الرسول أنه غلط فعاد إلى الكوفيين يعلمهم بحاله ووفاته، فوافاه سبعون كفنًا، قال: وحضرناه جميعاً، وانه ليتحسر تحسراً  
شديداً، وان وجهه لأسود كالقار، وما يتكلم، إلى ان أفق أفافة وفتح عينيه، فنظر إلى ناحية القبلة "جهة النجف الأشرف" ثم قال:  
يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليك؟ قالها ثلاث مرّات مرّة بعد أخرى، قال: فتجلى والله في جبينه عرق بياض فما زال يتّسع ولبّس  
وجهه حتى صار كله كالبدر، وتوفي، فأخذنا في جهازه ودفناه في الجبينة (٣٠)، ببغداد وذلك في خلافة الرشيد (٣١).  
ومن نقل حالة السيد عند احتضاره أبو سعيد محمد بن رشيد الهروي، وقد ذكر حديثه كل من ابن الشيخ الطوسي في (أمالیه)، والكشي  
في (رجاله)، والطبري الإمامي في (بشارة المصطفى) مسنداً عن أبي سعيد الهروي: ان السيد أسود وجهه عند الموت فقال: هكذا  
يفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ قال: فأبيض وجهه كأنه القمر ليلة البدر، وآخر شعر قاله السيد الحميري قبل وفاته:

أحب الذي من مات من أهل وده\*\*\* تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحكُ  
ومن مات يهوى غيره من عدوه\*\*\* فليس له إلا إلى النار مسلكُ  
أبا حسن أفديك نفسي وأسرتي\*\*\* ومالي وما أصبحت في الأرض أملكُ  
أبا حسنٍ إنِّي بفضلك عارفٌ\*\*\* وأني بجبلٍ من هواك لملكُ  
وأنت وصي المصطفى وابن عمه\*\*\* فإننا نعادي مبغضك وتتركُ  
ولا جحاني في علي وحزبه\*\*\* فقلتُ لحاك الله إنك أعفك (٣٢)  
موالیک ناجٍ مؤمنٌ بین الهدى\*\*\* وقالیک معروف الضلالة مشرک (٣٣)

السبب في اسوداد وجهه أولاً وإشراقه ثانياً  
وهنا قد يتساءل ويقال: لم أسود وجه السيد أولاً؟ ثم أبيض حتى أسفر وجهه ثانياً؟  
فالجواب واضح، وهو ان السيد الحميري - ومما لا ريب فيه - كان أولاً كيساني

٥- مما يلزم إلفات النظر إليه - في هذا المقام - هو ان علياً يقول - بالنسبة إلى المؤمن -: يا رسول الله ان هذا كان يجنبنا أهل البيت  
فأحبه، فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا جبرئيل ان هذا كان يحب الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبه... الخ ويقول علي  
- بالنسبة إلى المبغض -: يا رسول الله ان هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه، فيقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا جبرئيل ان  
هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه... الخ، وهذا مما يدل على أن من أبغض أهل البيت فقد أبغض الله ورسوله  
وأهل البيت، ومن أحب أهل البيت فقد أحب الله ورسوله وأهل البيت، ذلك لأنهم مع الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) فكونوا

- عباد الله - دائماً وأبداً - مع أهل البيت الذين هم مع الله ورسوله ومع الحق والهدى.
- ٦- راجع (البحار) للمجلسي ج ٦ ص ١٩٧-١٩٩ نقلاً عن (الكافي في الفروع) للكليني ج ٣ ص ١٣١ ط طهران، و(تحف العقول) للحسن بن شعبة ص ٣٦، وكتاب (الحسين بن سعد) أو لكتابه النوادر، كما رواه أيضاً بسنده فرات بن إبراهيم في تفسيره ص ١٣٦ ونقله عنه الطبرسي في (الشيعة والرجعة) ج ٢ ص ٨١، ونقله عن فروع الكافي السيد عبد الله شبر في (مصايح الأنوار) ج ٢ ص ١٧٢.
- ٧- المصادر السابقة وقوله: "لا يجيني عبدٌ أبداً فيموت على حيي"، فيه اشتراط البقاء على حبه إلى حين موته وكذا قوله "لا يبغضني عبدٌ أبداً فيموت على بغضي" لأن المحب قد يرتد عن حبه والعياذ بالله، والمبغض قد يهتدي قبل موته، نسأل الله تعالى حسن العاقبة.
- ٨- (مقتل الحسين) للخوارزمي ص ١٠٩ وينقله عنه صاحب (تعليقات إحقاق الحق) ج ١ ص ٤٥٨.
- ٩- هذا الحديث لم استحضره له مصدراً في الحال وقد سمعته من بعض الخطباء وهو مؤيد بأحاديث أخرى كثيرة مما ذكرنا، ومما يأتي ومما لم نذكره، ومؤيد بالأدلة العلمية كما سيأتي.
- ١٠- حديث أمير المؤمنين مع الحارث الهمداني من الأحاديث المهمة، وهو حديث طويل ويشتمل على فوائد جمّة، وقد ذكرناه في كتابنا (الشفاء الروحي والجسمي في القرآن) ص ٧١-٧٥، ويرويه الشيخ الطوسي في (أماليه) ج ٢ ص ٢٦٨ والطبري من علماء الإمامية في (بشارة المصطفى) ص ٤ ونقله المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٧٨ عن كل من مجالس المفيد وأمالى الشيخ، ورواه الأربلي في (كشف الغمة) ج ٢ ص ٣٠٧ ونقله عن كتاب (المحضر) ص ٢٩ للشيخ حسن بن سليمان، ويرويه المفيد في (أوائل المقالات) ص ٨٩.
- ١١- كون علي يعرف من يحضره عند الاحتضار - من مؤمن وكافر ومنافق - باسمه ونعته "أي صفته" وعمله لم يكن قول الشاعر مغالٍ أو وهمي أو خيالي بل هو الواقع المدعم بالأدلة، راجع كتابنا هذا (الطريق الثاني من يتابع علم الأئمة عرض صحائف الأعمال).
- ١٢- قد نسب بعض هذه الآيات إلى أمير المؤمنين بعض المفسرين كعلي بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا" [حم، فصلت/٣١] ج ٢ ص ٢٢٦ ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٨١، والطبرسي في (مجمع البيان) ج ٢ ص ١٣٨ وكذا الشيخ المفيد في (أوائل المقالات) ص ٨٩ ط الثالثة، وابن أبي الحديد في (شرح النهج)، ولكن الظاهر انه اشتباه، لأن الآيات للسيد الحميري وقد نظم فيها بعض ما قاله أمير المؤمنين في حديثه للحارث الهمداني وكل من ذكر حديثه للحارث ذكر الآيات للسيد الحميري كالشيخ الطوسي في (الأمالي)، والمجلسي، والمفيد، والأربلي.
- ١٣- (البحار) ج ٦ ص ١٧٩ نقلاً عن التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري.
- ١٤- راجع تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٥ رقم ٣٣، و(الحاسن) للبرقي ص ١٣٣، ونقله المجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٨٥ عن المصدرين، و(تفسير البرهان)، و(الصافي).
- ١٥- تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٤-١٢٦.
- ١٦- (البحار) ج ٦ ص ١٨٨، نقلاً عن العياشي.
- ١٧- (كشف الغمة) لعلي بن عيسى الأربلي ج ٢ ص ٤٠، و(البحار) ج ٦ ص ١٩١ برقم ٣٧.
- ١٨- (مجمع البيان) ج ٣ ص ٤١٨، صيدا، العرفان.
- ١٩- (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٧٨، أوفسيت على ط مصر.
- ٢٠- راجع (الدر المنثور) ج ٤ ص ١٨٦-١٨٧، و(تفسير القرآن العظيم) لابن كثير الدمشقي ج ٣ ص ٤٣ و(مفاتيح الغيب) للرازي ج ٥ ص ٤٠١ وغيرها.
- ٢١- (أمالي الشيخ الطوسي) ج ٢ ص ٨١، و(أعيان الشيعة) ج ٢ ص ١٣٢.
- ٢٢- (فروع الكافي) ج ٣ ص ١٢٧ ط طهران، و(تحف العقول) ج ١ ص ٣٥، و(فضائل الشيعة) للصدوق كما في (علي والشيعة) ص ١٥٢ ط الآداب النجف، والمجلسي في (البحار) ج ٦ ص ١٩٦ نقلاً عن (الكافي) و(تحف العقول).

- ٢٣- (الشافي في شرح أصول الكافي) ج ٧ ص ٢٣٣.
- ٢٤- السالفتين: ناحية مقدم العنق من لدن معلق القرط إلى قلت الترقوة (البحار).
- ٢٥- أفتر الرجل: ضحك ضحكاً حسناً أو المراد أفتر أي دار بوجهه.
- ٢٦- الهنات: الداهية.
- ٢٧- الذبالة: الفتيلة في الشمعة.
- ٢٨- (أمالي) الشيخ الطوسي ج ٢ ص ٢٤٠ ط النجف، و(المناقب) لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٢٠ ط قم، و(كشف الغمة) لعلي بن عيسى الأربلي ج ٢ ص ٤٠ ط قم، و(البحار) للمجلسي ج ٦ ص ١٩٢ ط الحدج نقلاً عن المصادر الثلاثة السابقة، وكذا الشيخ الأميني في (الغدير) ج ٢ ص ٤٨ ط النجف وغيرهم كثير.
- ٢٩- الرميعة: محلة في بغداد.
- ٣٠- الجنيعة: تصغير جنة، والمراد بها الحديقة، أو البستان.
- ٣١- (الأغاني) لأبي الفرج ج ٧ ص ٢٧٧، ونقل الحديث عنه الشيخ الأميني في (الغدير) ج ٢ ص ٢٤٧ ط النجف.
- ٣٢- لاج: أي لأم، لحاني أي لأمني، لحاك الله أي لعنك وقبحك، أعفك، أي أحق، قال أي مبغض.
- ٣٣- (أمالي الشيخ) ج ١ ص ٤٨، (رجال الكشي) ص ٢٤٣، (بشارة المصطفى) ص ٩١، ونقله الأميني في (الغدير) ج ٢ ص ٢٤٨، وفي الحديث اختلاف يسير واتفق الجميع على الاسوداد والإشراق.
- ٣٤- كان السيد الحميري معاصراً للإمام الصادق وكان قد لقبته أمه بالسيد عرف بهذا اللقب واشتهر به ثم عرف بسيد الشعراء وكان في ذلك على ما روى الكشي في (رجاله) ص ٢٤٥، ان أبا عبد الله لقي السيد ذات يوم فقال له: سمتك أمك سيداً ووفقت في ذلك وأنت سيد الشعراء فأئسد السيد في ذلك:
- ولقد عجبت لقائل لي مرة\*\*\* علامة فهم من الفقهاء  
سمك قومك سيداً صدقوا به\*\*\* أنت الموفق سيد الشعراء  
ما أنت حين تخص آل محمد\*\*\* بالمدح منك وشاعر بسوء  
مدح الملوك ذو العطا لعطاءهم\*\*\* والمدح مثل لهم بغير عطائي  
فابشر فإنك فائز في حبهم\*\*\* لو قد وردت عليهم بجزاء  
ما يعدل الدنيا جميعاً كلها\*\*\* من حوض أحمد شربة من ماء
- ٣٥- راجع ترجمة السيد وشعره مفصلاً في كتاب (الغدير) ج ٢ ص ١٩٣-٢٦٩.
- ٣٦- (فروع الكافي) ج ٣ ص ١٣٣ ط طهران، و(تحف العقول) ج ١ ص ٣٧ كما في (البحار) ج ٦ ص ١٩٩.
- ٣٧- لعل من أهم ما يحول بين الإنسان وبين الولاية عند الموت هو موالات أعداء الله ومعاداة أولياء الله، والحكم بغير ما انزل الله، وغضب حقوق الناس بأنواع الظلم والغش والسرقات والخيانات وترك أركان الدين الخمسة مع الإصرار عليه إلى غير ذلك من الإصرار على كجائر الذنوب بلا ندم ولا توبة: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" [التحریم/٩].
- ٣٨- (أمالي الصدوق) مجلس ٥٢ ص ١٩٢، ونقله عنه المجلسي في (البحار) ج ٤٢ ص ٢٠١ وما في معناه تجده في كتاب (نزهة المحبين) للشيخ جعفر النقدي ص ١٥٨.
- ٣٩- راجع (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) ج ٣ ص ٧٣ نقلاً عن (أسد الغابة) ج ٤ ص ٣٨.
- ٤٠- (مقتل الحسين) لأخطب خوارزم ج ٢ ص ٣١، وسائر المقاتل.
- ٤١- روى ذلك الترمذي في (سننه) وهو أحد الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٠٦ في "مناقب الحسن والحسين" ط بولاق، والحاكم في (المستدرک) ج ٤ ص ١٩ ط حيدر آباد، والذهبي في (تخليصه)، وابن حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب) ج ٢ ص ٣٥٦ ط حيدر

أباد، وابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة) ص ١١٥، ومحب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) ص ١٤٨ ط القدسي نقلاً عن الترمذي والبغوي في (الحسان)، وخطب خوارزم في (المقتل) ج ٢ ص ٩٦، وروى ذلك الصدوق في (الأمالي) ص ٨٤ بسنده عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السلام) عن أم سلمة، وكذلك رواه الشيخ المفيد في (المجالس)، والشيخ الطوسي في (أماله) من طرق عديدة، راجع (البحار) ج ٤٥ ص ٢٣٠، و(إقناع اللائم) ص ٣٨.

٤٢- روى ذلك الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج ١ ص ٢٤٢ ط الميمنية بمصر من طريقين، والحاكم في (المستدرک) ج ٤ ص ٣٩٧، والخطيب البغدادي في (تأريخ بغداد) ج ١ ص ١٤٢ ط السعادة بمصر، وابن الأثير في (أسد الغابة) ج ٢ ص ٢٢ ط الوهبة بمصر، وابن عبد البر في (الاستيعاب) ج ١ ص ١٤٤ ط حيدر أباد، وج ١ ص ٣٨٠ مصر، وابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج ٢ ص ١٧ ط كلكتة، وج ١ ص ٣٣٤ ط مصر سنة ١٣٥٨هـ، وابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة) ص ١١٦ ط الميمنية بمصر، وأخطب خوارزم الحنفي في (مقتل الحسين) ج ٢ ص ٩٤، راجع (فضائل الخمسة) للفيروز آبادي، ج ٣ ص ٢٨٨ ط النجف، ورواه العلامة الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ٢١٠.

## ١٢ الفصل السادس: عناية الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين بحديث الغدير

### الفصل السادس

عناية الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين بحديث الغدير  
هنيئاً هنيئاً ليوم الغدير\*\*\* ويوم الحبور ويوم السرور  
ويوم الكمال لدين الإله\*\*\* وإتمام نعمة رب غفور  
ويوم الفلاح ويوم النجاح\*\*\* ويوم الصلاح لكل الأمور  
ويوم الإمارة للمرتضى\*\*\* أبي الحسين الإمام الأمير  
ويوم الخطابة من جبرئيل\*\*\* بتقدير ربِّ علمٍ قديرٍ  
ويم اشتراط ولاء الوصي\*\*\* على المؤمنين بيوم الغدير  
ويوم الولاية في عرضها\*\*\* على كل خلق السميع البصير  
ويوم الصلاة على المصطفى\*\*\* وعترته الأطهرين البدور (١)

إنَّ حديث يوم الغدير كان محل العناية السامية، والرعايات العالية، عنايات ورعايات عظيمة ومتواصلة من الله ورسوله وخلفائه والمؤمنين جيلاً بعد جيل من يومه الأول وإلى الآن وإلى يوم القيامة.

وأبي عناية ورعاية من الله جلَّ وعلا في حديثٍ أعظم من عنايته بحديث يوم الغدير، والذي من عنايته به أن أوحاه إلى رسوله الأعظم (صلى الله عليه وآله) مراراً عديدة، وأنزل فيه قرآناً يرتله المسلمون آتاء الليل وأطراف النهار. الآيات النازلة في الحديث

انزل فيه آيات ناصعة عديدة لا آية واحدة، منها آية التبليغ وهي قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [المائدة/٦٨].

ومنها آية الإكمال وهي قوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [المائدة/٤].

وبعد هاتين الآيتين انزل جلَّ وعلا ثلاث آيات آلا وهي آيات العذاب الواقع على الكافرين بحديث الغدير وهي قوله تعالى: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ] [المعارج/١-٤].

وقد ذكر شيخنا الأميني في موسوعته الضخمة الغدير في الجزء الأول ثلاثين مصدراً من مصادر أهل السنة من مفسرين ومؤرخين

ومحدثين في نزول آية التبليغ في ولاية أمير المؤمنين يوم غدير خم، وستة عشر مصدراً من مصادرهم الموثوقة في نزول آية الإكمال في ذلك اليوم، وثلاثين مصدراً في نزول آيات العذاب الواقع للكافرين بحديث الغدير، فتكون مجموع هذه المصادر التي ذكرها الأميني في نزول الآيات في شأن حديث الغدير ستة وسبعون مصدراً.

السبب في نزول آيات العذاب الواقع على الكافرين بالحديث وذكر المفسرون - من أهل السنة - ومنهم الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان) سبب نزول آيات العذاب الواقع للكافرين بحديث الغدير وهو انه :- لما كان الرسول (صلى الله عليه وآله) بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك - أحد أعدائه وهو الحرث بن النعمان الفهري (٢).

فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) على ناقه له فنزل عنها وأناخها فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله فقبلناه، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا ان نصوم شهر رمضان فقبلنا، وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض عنا حتى رفعت بضبعي ابن عمك ففضلته علينا وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله عز وجل فقال (صلى الله عليه وآله): والذي لا إله إلا هو ان هذا من الله، فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم ان كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتنا بعذاب أليم، فما وصل ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله.

وأنزله الله عز وجل على رسوله: [بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقِيعٍ ... الخ (٣)].

نعم ذكر شيخنا الأميني لهذه الواقعة ثلاثين مصدراً من مصادر أهل السنة، وأمّا من طرقنا فهي شهيرة ومسلم بها إلى غير ذلك من الآيات النازلة في حديث الغدير وفي المخالفين له.

وأما الآيات التي تؤيد حديث الغدير فهي أكثر من ثلاثمائة آية، وإذا كانت العناية من الله - بحديث الغدير - بهذا الشكل، فلا غرو ان تكون العناية الهامة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بنشر هذا الحديث على جميع الناس.

إعلان النبي (صلى الله عليه وآله) عن حجة الوداع

ولذا أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما علم دنو أجله ونعيت إليه نفسه في ذلك العام أعلن (صلى الله عليه وآله) إلى الناس وأذنّ فيهم قبل موسم الحج في الأقطار والأمصار انه سيحج في هذا العام حجة الوداع، أي هي آخر حجة حجها، فمن أحب منكم أن يحج معي فليلحق بي، فوفاه الناس من كل فج عميق، حتى خرج من المدينة ومعه أكثر من مائة ألف حاج وحاجة.

ولما كان يوم الموقف بعرفة خطب في الناس وأشاد بفضل علي أمير المؤمنين وأهل بيته الأطهار ونادى في الناس:

"علي مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي" يعني تأدية رسالته بتمامها وكاملها .

ولما قفل راجعاً بمن معه من تلك الألوف، وقارب مكان غدير خم، في مكان يقال له ضجنان، هبط عليه الأمين جبرئيل وأمره عن الله عز وجل أن يبلغ الناس ولاية علي أمير المؤمنين من بعده، فراجع النبي بذلك جبرئيل - خوفاً من مخالفة قومه - وقال: أخي جبرئيل ان الناس جديد عهد بالإسلام فلعلهم لا يمثلون أمري في ولاية علي أو ينالنا منهم سوء، فخرج جبرئيل ثم هبط على النبي (صلى الله عليه وآله) وقد وصل إلى غدير خم، وقد جاءه بهذه الآية عن الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ].

فحينما جاءه الأمر من الله بالعزيمة ووجوب التبليغ، عند ذلك نزل النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك المكان وحط رحله هناك حتى لحق به من تأخر عنه، وأرجع إليه من تقدمه، وكان من ذلك المكان تتشعب منه الطرق، طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وغيرهم. فجمع رسول الله الناس قبل أن يتفرقوا، ولما اجتمعوا صلى بهم الفريضة، ثم خطبهم - عن الله عز وجل - بخطبة جامعة ذكر فيها

أصول الدين وفروعه وسائر أحكامه، وحث الناس فيها على إطاعة الله في أوامره والانتها عن نواهيه. وأشاد بفضل القرآن وأهل بيته وإنهما الثقلان اللذان خلقهما على الأمة، ثم تناول علياً بيده المباركة من يده الكريمة ورفعته حتى بان بياض إبطيهما، ونادى فأسمع: أيها الناس أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وآل من وآله وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار. بيعة الناس لعلي (عليه السلام) وبخبخة الشيخين له

وبعد ذلك نصب لعلي خيمةً فجلس فيها، وأمر (صلى الله عليه وآله) أولئك الجماهير بأن يسلموا عليه بأمره المؤمنين ويبايعوه، لتتم له البيعة في حياته، ولا يختلف فيه أحد بعد وفاته، فتسابق الناس للسلام عليه بأمره المؤمنين وتنهته بالمقام الرفيع. وكان من جملة المبايعين والمهتئين له الشيخان أبو بكر وعمر، فدخل كلُّ منهما على عليٍّ وهنأه بالولاية الكبرى وقال كلُّ منهما له، يخرج لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقد ذكر شيخنا الأميني لبخبختها لعلي بالولاية ستين مصدراً من مصادر أهل السنة في كتابه (الغدير) (٤).

وبعد ان تمت البيعة له انزل الله على رسوله آية الإكمال: [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً] [المائدة/٤]، فكان إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب بالإسلام ديناً للمسلمين بولاية علي أمير المؤمنين، ولقد أجاد من قال: مواهب الله عندي جاوزت أملي لكن\*\*\* وليس يبلغها قولي ولا عملي أشرفها عندي وأفضلها\*\*\* ولايتي لأمر المؤمنين علي تواتر حديث الغدير والاحتجاج به

وقد حمل حديث الغدير عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل من كان معه من تلك الجماهير التي كانت تربو على مائة ألف من بلدان شتى، فلذا شاع حديث الغدير وتواتر عند جميع المسلمين وبقي خالداً بذكره العطرة في الأجيال كلها. على ان لأئمة الهدى e وسائر أهل البيت وشيعتهم من الصحابة والتابعين والعلماء والمؤلفين والشعراء والأدباء طرقاتاً تمثل الحكمة في بثه وإشاعته في الأعصار والأمصار.

فقد قام أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتج به على الناس مراراً عديدة أيام خلافة الخلفاء، وأيام خلافته احتج به على الناس حتى يبقى خالداً، ومن ذلك:

ما احتج به أيام خلافته (عليه السلام) إذ جمع الناس في الرحبة ليناشد كل أمرئ مسلم سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول يوم غدير خم ما قال إلا قام وشهد بما سمع، وانه لا يقيم ويشهد به إلا من رآه بعينه وسمع مقالته بأذنه، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثني عشر بديراً، فشهدوا ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ بيده وقال للناس: أتعلون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: نعم، فقال (صلى الله عليه وآله):

من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وقعد عن الشهادة بالحديث - يومئذ - ثلاثة نفر أقعدهم بغض عن القيام بواجب الشهادة فأصابتهم دعوة أمير المؤمنين (عليه السلام) كأنس بن مالك حيث قال له علي: مالك القوم مع أصحاب رسول الله فتشهد بما سمعته يومئذ منه؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت ونسيت، فقال علي (عليه السلام) له: ان كنت كاذباً فضربك الله ببياض لا تواريه العمامة، فما قام حتى أبيض وجهه برصاً على ما ذكر المؤرخون ذلك من الفريقين.

ومن احتج به الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء كما جاء في (أسنى المطالب) مسنداً عن ابنتها أم كلثوم إنها قالت محتجة على القوم: أنسى قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى... الخ.

واحتج به الإمام السبط الحسن المجتبي في خطبة له عام الصلح قال من جملتها: وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم وقال لهم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وآل من وآله وعاذ من عاده، ثم أمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ... الخ. واحتج به الإمام الحسين (عليه السلام) قبل هلاك معاوية، في اجتماع كبير يضم المئات من الصحابة والتابعين بمنى في موسم الحج، وخطب فيهم وقال من جملتها: أنشدكم الله أتعلون ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصبه يوم غدیر خم فنادى له بالولاية وقال: ليبلغ الشاهد الغائب، قالوا: اللهم نعم.

إلى غير ذلك ممن احتج بحديث الغدير، راجع التفصيل في كتاب (الغدير) ج ١ من ص ١٥٩-ص ٢١٣.

[إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا] [المزمل/٢٠].

حديث الغدير، والشعراء قديماً وحديثاً

وقد نظم حديث الغدير الشعراء، وأكثروا من نظمه منذ عهد الصحابة إلى هذا اليوم، وهم ألوف مؤلفة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل.

ومن نظم حديث الغدير شعراً من الصحابة حسان بن ثابت شاعر النبي (صلى الله عليه وآله) نظمه شعراً في ذلك الحشد الرهيب وأنشده

## ١٣ خاتمة الكتاب

خاتمة الكتاب

قصيدة عاشق لصاحب الغدير لولدنا علي

عشقتُ علياً

مهداة إلى سيدي ومولاي أمير المؤمنين الإمام (علي بن أبي طالب عليه السلام) راجياً الشفاعة

عشقتُ علياً أميراً علياً\*\* فصار هواه أميراً علياً

يسد عليّ دروب ضلالي\*\*\* فأسلك فيه "صراطاً سوياً"

وأظفر منه "بصك نجاتي"\*\*\* وأسقى شراباً به كوثرياً

وأولد حياً وأدفن حياً\*\* وأبعث بعد وفاي حياً

فد كنت في نطفة مستكيناً\*\* عقدت بحبك عقداً وفيّاً

وحال ولدتُ حللتُ بسمعي\*\*\* آذاناً تردد من والدياً

ولما استبيننا عن أسمي قالاً\*\*\* علي أسم الأمير يُسمى علياً

بلغتُ وجدتكُ شرعاً\*\* لكل قويمٍ وحقاً جلياً

عرفتُ الجنانَ لحبك وقفاً\*\*\* تُكفر من لا يراك ولياً

وإني "برفضي" سأدعي إليها\*\*\* ومنه سأجني قطافاً جنياً

فرحتُ أناجيك في كلِّ همٍ\*\*\* وأسمع منك "نداءً خفياً"

تفكرتُ فيك وما أنت فيه\*\*\* تمننتُ فيك ملياً ملياً

فأيقنتُ أنك صنو النبي\*\*\* وأنك لولاهُ كنتُ النبيّاً

\*\*\*

هواكِ بصلبِ يكاني مقيمٍ\*\*\* وأقربُ مني مراراً إلياً

تشيّعتُ فيك ولولاك فيه\*\*\* نقضتُ التشيعَ من راحتيا



ولو جئتُ أمدحُ فيكَ خصالاً\*\*\* لافئيتُ عمري وما جئتُ شيئاً  
فسيفكُ لا سيفُ إله نادى\*\*\* بذلكُ جبريلُ صوتاً علياً  
ولولاك ما عاشَ للدينِ ذكرٌ\*\*\* ولا عرفَ الكونُ طه النبيّاً  
أبي العلمِ الآكُ باباً إليه\*\*\* فقلتُ: "ادخلوا بسلام" عليّاً  
وقلتُ: "سلوا قبل أن تفقدوني"\*\*\* فكلُّ علومِ الرسولِ لدياً  
ورايةٌ خيرٌ لم تعلُ حتى\*\*\* تكفلتها فارساً حيدرياً  
فما احتملتُ غيرِ كَفكُ كفاً\*\*\* ولا عشقتُ غيرَ فيكُ فياً  
سلوا بابَ خيرٍ من قد دحاها\*\*\* ومن ذا طواها بكفيه طياً  
وذاك فراشُ النبيِّ سلوه\*\*\* من الباتِ فيه ونامَ هنياً  
وأسيافُ غدرٍ على البابِ تجثوا\*\*\* تراه طعاماً إليها شهياً  
ومنَ ذا سواه له الشمسُ ردتُ\*\*\* وصار له غربها مشرقياً  
ولدتُ بكعبةِ ربكُ طهراً\*\*\* "وأشرفتُ الأرضُ" نوراً بهياً  
وفيهما رقيتُ على كتفِ طه\*\*\* وحطمتُ أصنامَ من ضلَّ غياً  
وباهلَ فيكُ الرسولُ بنصٍ\*\*\* فكانَ وأياكُ في النفسِ رسيّاً  
\* \* \*

"من المؤمنين رجال" ومنَ ذا\*\*\* عداهُ تسيدهم هاشمياً  
"يجاهد في الله حق جهادٍ"\*\*\* ويؤتي الزكاةَ ركوعاً خشياً  
على حبه يُطعم الزاد زلفى\*\*\* فتىً "يقرض الله قرضاً" سخياً  
توغل في البر حتى تناهى\*\*\* فطهر من كل رجسٍ نقياً  
ويوم "الغدیر" تعلّى إماماً\*\*\* وأضحى على كل عبدٍ وليّاً  
فتمت رسالةُ أحمدَ فيه\*\*\* وبلغ أمرَ الإله جلياً  
فيا مؤمنون اتقوا الله حقاً\*\*\* وكونوا مع الصادقين" سويّاً  
فهذا عليٌّ بأيِّ الكتابِ\*\*\* فما قولكم أين نلقى عليّاً؟  
\* \* \*

ألفاً أموتُ وأحيى\*\*\* بكلِّ لحيلةٍ عمرٍ لدياً  
لأعشقُ مني غروبي\*\*\* إذا رحّت تشرقُ في ناظرياً  
وأغبطُ في موتها كلَّ عينٍ\*\*\* وكلَّ ضريحٍ لميتٍ تهبياً  
سرى بعروقي ولاءُ عليٍّ\*\*\* ففاضتُ معانيه من أصغرياً  
\* \* \*

ولأنَّ ألفي جراحكُ ينمو\*\*\* أساها فتذرفُ دمعاً همياً  
وتذهلُ رؤياكُ في كنهِ خلقٍ\*\*\* يعيثُ فساداً وينطقُ غياً  
وكم أقرضتكُ الهمومُ هموماً\*\*\* وما كنتُ يوماً لهم نسياً  
لأنك حيٌّ تمنوكُ ميتاً\*\*\* فأكثرهم يكره الحقَ حياً

شهيذاً بحرابِ نُسكٍ \*\*\* وفُزْتَ وربَّكَ فوزاً علياً  
فَعَشْتَ علياً ومَتَّ علياً \*\*\* وعاشَ وماتَ المعادي شقياً  
بأمرِكَ تُدخِلُ من ضلِّ ناراً \*\*\* وتُدخِلُ جنَّةَ عدنٍ تقياً  
وهذا مزارُكُ آياتُ صدقٍ \*\*\* يعيشُ كما انخلدُ للدهرِ حياً  
بكلِّ مكانٍ وفي كلِّ حينٍ \*\*\* نَظَلُّ نناديَ علياً علياً

\* \* \*

علي عبد اللطيف البغدادي

١٠/٩/١٩٩٨ م

أقيمت في مجلس الشعريات الأسبوعي العام بتاريخ ١٩/١١/١٩٩٨ م